

دكتور

مصطفى مخلوش

كلية أصول الدين
القاهرة

منتدى سور الأزبكية

الأسطورة

في

الفلسفة الإغريقية



www.books4all.net

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>

دكتور

مصطفى محمود

كلية أصول الدين
القاهرة

الاستطارة

في

الفلسفة الإغريقية



للطباعة والنشر والتوزيع

١٦ شارع منصور (مولد النبي) الزقازيق

ص . ب : ٢٠٣ ت : ٢٢٠٦٨٣ (٠٥٥)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين . والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله
وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإننى إذ أقدم بحشى هذا عن (الأسطورة فى الفلسفة الإغريقية) فى:
دراسة علمية تحليلية تكشف عن : علاقة : الفكر الإغريق بالأسطورة منذ
بكوره . وحتى ازدهاره فى ساحة فكر (الشوامخ) من فلاسفة الإغريق .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يستخرج هذا البحث . ويوجه (النية) إليه
ويحفز العزم على عقده .. بأمر فى غاية (الطرافة) ..

إذ لم تكن (الفكرة) واردة على خاطرى للبحث .. بل لم تكن من هاتيك
المخاطر التى تعن للباحثين فى (صفهوم) ..

بل حقيقة : لم اكن أتصور أن الموضوع بهذا الاتساع والذيع والسريان ..

ففى مستهل (ربيع) العام الماضى ^(١) . كنت أناقش أحد طلاب الماجستير
بكلية أصول الدين بالقاهرة . جامعة الأزهر

وأثناء المناقشة وجهت نظر (الطالب) إلى (جملة) وردت فى رسالته فى سياق
(التخلص) من فكرة إلى فكرة . وتشى هذه الجملة : كما صاغها بأنه يضع :
فلاسفة الإغريق فى مرتبة رفيعة متسامية على الفكر الأسطورى .

وقارن الطالب بين الفكر الإغريقى والفكر الشرقى . الذى وصفه بالأساطير ..

إذ بعد أن تعرض الطالب لفكرته عند (الهنود) قال: (فإذا تركنا هذا العصر .
عصر الأساطير . وانتقلنا إلى : العصر اليونانى ..) ^(٢) .

قلت للطالب : إنك بالغت فى المقارنة بين الإغريق والشرق .

(١) راجع ص ١٤ من بحث (مفهوم القلق بين الصوبية والوجودية)

رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية أصول الدين / القاهرة .

(٢) عام ١٩٨٩ م .

فما هو دليلك على أن (اليونان) لم يعرفوا الأساطير .. أو على أن العصور
اليونانية لم تعرف الأساطير .. ؟ ..

وذكرت للطالب : أن (الإغريق) فى عصرهم الزاهى قد عرفوا الأسطورة وتأثروا
بها ..؟..

وكاد الأمر أن ينتهى إلى هذا .. ولكن الأستاذ المشرف على الرسالة . تدخل فى
(الحوار) .. ليؤكد لى : أن اليونان (عقل وفلسفة) تعالت على الأساطير ..

ويصدق : لقد استنفزنى هذا (الاعجاب) الشديد لفلاسفة الإغريق .. والاستعلاء
بهم عن معرفة (الأساطير) ..

وقد عقتب قائلاً : لقد ألهمتني الآن ببحث جديد يصدر فى رحاب كلية
أصول الدين . يكشف عن (وجود) الجانب الأسطوري فى الفلسفة الإغريقية ..

ومنذ هذا التاريخ . وأنا أعيش هذا الموضوع .. محاولاً الإجابة بموضوعية عن
تساؤلات تقول :-

هل عرف الإغريق (الأسطورة) .. أم لم يعرفوها ..؟..

وهل تأثر الفكر الإغريقى بالأسطورة .. أم أستعصى عليها ...؟...

وهل سيطرت الأسطورة على الفلسفة . أم كانت الفلسفة للفلسفة ..؟..

وهل خضع (شوامخ) الفلسفة الإغريقية للأسطورة . وإلى أى مدى ..؟..

وكيف دار (الصراع) القوى بين الأسطورة والعقل للتسرب إلى (جزئيات) الأصول
الفلسفية .

وأخيراً : هل كان (الصراع) يتسم بالمقاومة والرفض ..

أم يتخذ : جوانب أخرى ..؟..

وكنت أرقب فى (حيرة) لمن ستكون الغلبة ..؟..

ألعقل ومنطقه .. أم للأسطورة وباطلها ..؟..

وأقرر هنا : أن الحرب كانت (سجالات) بين العقل والأسطورة فى الفكر الإغريقى..

وتساوى فى ذلك : كل عصرة التاريخية .

فهو : أرسطورى قبل عصر التفلسف ..

وأرسطوري في عصر التفلسف
وأسطوري بعد عصر التفلسف المزدهر .
وكانت (الأسطورة) الإغريقية تختلف في مخالطتها لفلسفة الفلاسفة ..
فهى عند فيلسوف سافرة مكشوفة ..
وعند فيلسوف آخر : ساترة ملفوفة ..
وعند الثالث : تتبرقع بما يشف ..
ولكن (الأسطورة) فى كل الأحوال (موجودة) فى الفكر الإغريقى بقوة ومتغلغلة
فى نسيج الفلسفة .
بل : وقد حاولت (الفلسفة الإغريقية) أن تجعل للأسطورة (منهجاً) تبقى به على
الأسطورة .. فى تصوير (فلسفى) إغريقى يموه بالباطل
وقد وقفت بين هذه الطرق المتشعبة . أوثق مصادرها .. وأناقش مذهبها .. وأبرز
الجوانب الأسطورية من مظانها .
مؤكدأ : أن « العقل » هو (العقل) .. وأن التعصب لجنس أو لون .. أمر ضد
طبائع الأمور .
وخلصت من هذا كله إلى : « أن الفكر الإنسانى الإغريقى به الكثير من الفلسفة
التي تروق .. كما أن به : الكثير من الأساطير ولا يمكن لأسطورة أن تروق ..
وحاولت أن أوضح (مناهج) وأضع (قواعد) لحركة الأسطورة فى الفكر الإغريقى .
وانتهيت إلى أن : الأسطورة تسرى فى الفكر الإغريقى سريان الماء فى العود
الأخضر .
وأنها يمكن أن تسرى وتخالط كل فكر إنسانى : يبتعد عن منهج (الله) تعالى
الذى أنزله على الأنبياء بطريق (الوحى) ..
وكنت طوال رحلتى مع (الأسطورة) لا أفتر عن ذكر الله تعالى . والاستغفار
من (عرض) أساطير الضلال .
التي تتحدث عن (آلهة) متعددة . وعندما (توحد) يكون توحيدها (بشرى)
الصفات . شهوى الذات . والعياذ بالله ..

ولذا : كنت أهبّتل كل فرصة : فأبادر إلى تقرير بطلان الأساطير .. توبة .. وأوبة ..

وعسى أن تكون هذه الدراسة قد أوفت بغايتها ووفت بمنهجها .. وكشف عن (الفكرة) أو جلّتها ..

وأبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل نافعاً وشافعاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأضرع إليه سبحانه : أن يزجيه كجبال الماء إلى العقول .. وأن يسريه كخيوط الفجر إلى القلوب .

وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده .

﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ﴾

هذا . وبالله التوفيق .

دكتور

مصطفى غلوش

كلية أصول الدين - القاهرة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفصل الأول

الأسطورة

معنى الأسطورة :

يجدر بنا أن نقف على معنى (الأسطورة) لتتمكن من تحديد المراد منها :
حتى تتمكن من إدراك (الحكم) على الفكر الإغريقي .

لأهل العلم فى معنى الأسطورة نظرة تختلف باختلاف موقعها من(بنيان)
المذهب . أو (المأثور) .

وهذا ماذهب إليه (المعجم الفلسفى) حيث يذكر أن : [الأسطورة Myth]
عبارة عن :

١- قصة خرافية يسودها الخيال . وتبرز قوى الطبيعة فى صور كائنات حية
ذات شخصية ممتازة . وينبنى عليها : الأدب الشعبى .

٢- تستخدم - الأسطورة - فى عرض مذهب . أو فكرة . عرضاً قصصياً .
مثل : (أسطورة الكهف عند أفلاطون) .. (١)

والأساطير وجدت مع الإنسان منذ فجر تدوين التاريخ بل وقبل تدوين التاريخ.
وينبغى علينا منذ مداخلتنا لعرض فكرة (الأسطورة عند الإغريق) أن نكون
على ثقة تامة من حقيقة نعتقدها وهى :

أن الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى . وهو برئ من الأساطير والخرافات .. فقد
أشرقت الدنيا على آدم عليه السلام وهو (نبي) كريم نهل العلم من الله تعالى .
يقول القرآن الكريم ﴿ وهلم آدم الأسماء كلها . ﴾

ثم نقل آدم عليه السلام علمه و(نبوته) إلى : ماتناسل منه من البشر .

(١) راجع (المعجم الفلسفى) نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٣ مادة (٧٨).

فالإنسان الأول وفروعه الأولى .. كان رائدها نور (النبوة) : والعنم الآلهى فى جوانب الحياة والاعتقاد ..

فلما (غاب) الإنسان عن (النبوة) واجتالته الشياطين على منهج (الوحى) .. تباعد النور الآلهى .. وطمس القلب الإنسانى بظلمات الهجر لمنهج الله تعالى .. وهنا تنهض الأسطورة والخرافة ، وكل ما هو باطل .. ليملأ فراغ الصدر من الإنسان .

وتلك (غاية) إبليس عليه لعنة الله .. وتلك « غوايته » التى حرص على أن يضل بها الإنسان .. عندما أقسم لرب العزة على ذلك . يقول القرآن الكريم : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾

وهنا : نهضت الأسطورة والخرافة ، لتملأ بالباطل (قلب) المدبر عن (وحى الله) تعالى .. ولتحل محل (العلم) الذى وهبه الله تعالى للإنسان .

وكان (نبأ ابنى آدم) .. بداية للسطور الأولى التى كتبها الإنسان لتاريخه مبتعداً بها عن منهج الله تعالى ..

وتوالت السطور والصفحات فى التاريخ الباطل .. وكلما اشتد إيغالاً فى الظلام .. إشتد (التيه) به والحيرة . ووقف على مفارق طرق متعددة لا يدرك من تأثير الباطل الذى يروده : أين صوابها .. ؟...

ومن هنا : كانت الأسطورة والخرافة : أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية .

ونعنى بذلك : هذا النوع الإنسانى إذ بعد ما تنكب طريق الوحى إعترضته (الأسطورة) . التى ترتبط دائماً ببداية الإنسان أو ببداية البشر .. قبل أن يمارس (السحر) كمصدر من مصادر (المعرفة) الإنسانية .

فالأسطورة بذلك : حالة فكرية تتقدم كل أنواع المعارف الإنسانية .. ويعتبر (السحر) نوعاً راقياً عنها ..

والأسطورة أمدت الدراسات الإنسانية التى اعتمدت على الإنسان فى ذاته بالكثير من المعارف . ولعلها دونت بعد ذبوعها مما جعلها تدخل اللغة وفيها معنى التدوين

والأسطورة فى اللغة هى : (السطر الخط والكتابة والجمع أسطار . وجمع الجمع (أساطير) . والأساطير . الأباطيل . الواحد أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر .^(١)

والأسطورة تأتى بمعنى (الخرافة) : [والأسطورة الخرافة . والحكاية ليس لها أصل . جمعها : أساطير . وسطر الكتاب : سطره . أى : ألفه .. ويقال : سطر الأكاذيب . وسطر علينا : قصّ علينا الأساطير . والأساطير الأباطيل والأحاديث العجيبة . وفى التنزيل : (إن هذا إلا أساطير الأوكين)^(٢) .

وذكر صاحب (مقاييس اللغة) فى معنى (الأسطورة) قريبا من هذا .

ويقول : [فأما الاساطير . فكأنها أشياء كتبت من الباطل . فصار ذلك : إسماء لها . مخصصاً بها .

يقال : سطر فلان علينا تسطيراً . إذا جاء بالأباطيل . وواحد الأساطير : إسطار وأسطورة . [^(٣) .

وإذا كنا نسوّى بين : الأسطورة والخرافة من منطلق أن كليهما باطل .. فإن (الجهوى) وغيره قد ذكروا أن [الاساطير هى : الأباطيل والترهات .]^(٤) .

كما نجد من الباحثين من يحاول أن يفرق بينهما بلامنهج يستند إليه . فيقول : [كثير من الدارسين يجعلون الحكاية الخرافية : لونا من ألوان الاساطير . بخاصة إذا اعتبرت عملية إخراج موضوعى لنزعات خفية ..

وكثير آخرون يردونها إلى (الطوطمية) أو الروحانية أو السحر أو النبوة التى اشتهرت بها الشعوب فى مراحلها الأولى .^(٥)

(١) راجع مادة (سطر) من كتاب (مختار الصحاح) الطبعة السابعة سنة ١٩٥٣ .

(٢) راجع مادة (سطر) فى كتاب (المعجم الوسيط) نشر مجمع اللغة العربية .

(٣) راجع مادة (سطر) من كتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس .

(٤) راجع ص ٢٤ . من كتاب (تفسير القرطبي) نشر دار الريان للتراث .

(٥) يفرق هذا الباحث بين النبوة والأسطورة باعتبار : المجال .. فيقول! (إن النبوة تختص بحدث يومى من أحداث الحياة) ولكن (الأسطورة تختص بالظواهر الكونية وما وراءها) ونحن إذ لاتوافق على هذا التخصيص .. نؤكد أنه يقصد : بالنبوة ما يصدر عن البشر والكهان من (تنبؤ) باطل ..

وعن بعض المشتغلين بالميثولوجيا - الأسطورة الدينية - توضع الحكاية الخرافية فى صف .. مع مايسمى بأسطورة : الأخيار والأشرار (١).

وقد درست (الأسطورة) دراسة (أنثروبولوجية) من جهة أن (الانثروبولوجيا) هى: علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً .

وقد ظهرت هذه الدراسات كعلم مستقل بمعرفة (إدوارد تيلور) الأستاذ بجامعة أكسفورد سنة ١٨٨٤ م.

وقد أكد (تيلور) على أن : الأنثروبولوجيا هى أقدم علوم البشر . وأن أقدم هذه العلوم هى تأملات الإنسان فى كل زمان ومكان .. وهذه التأملات تحمل أحلامه وأمانيه . وقد تجسدت قديماً فى (الأسطورة) ..

وقد ساهمت (الأسطورة) فى إمداد الدراسات الإنسانية على اختلاف فروعها بالكثير من الظواهر والعناصر والمواد الفنية ..

وقد ظهر ذلك فى الجانب (الفكرى) للإنسان .. فقد قامت (الأسطورة) بدور فعال فى تشكيل الفكر الإنسانى والتأثير فيه ..

وقد تحقق للأساطير على مدى التاريخ أن تتسلل فى هدوء وقوة إلى (التفكير) الإنسانى ..

بل استطاعت (الأسطورة) أن تكون (أداة) الإنسان الذى حاول أن يفسر الكون بها تفسيراً علمياً .. وأن يقدم لقضاياها ومشكلاته حلولاً تجيب عقله الدارج ..

وبهذا : استطاعت الأسطورة أن (تترعب) على ناصية العقل الإغريقى منذ طفولته .. وحتى خريف عمره ..

ولعل هذا ما جعل بعض الباحثين يؤكد على أن (الأسطورة) قد صارت لدى علماء (الأنثروبولوجيا) : نوعاً من (الفلسفة) .

فيقول : [الأسطورة على هذا النحو : ضرب من الفلسفة لأنها عملية تأمل من أجل إجابة عن أسئلة مبعثها الاهتمام الروحى بموضوع (ما) . فتكون بطريقة أو بأخرى . أشبه بالنبوءة . التى ظهرت فى تراث الإغريق .

(١) راجع ص ٦١ من كتاب (الأساطير) د/ أحمد كمال زكى نشر مكتبة الشباب سنة ١٩٧٥.

فشمة قضية (مصير) تشغل أى إنسان . فيذهب إلى معبد (دلفى) Delphi .
كما ذهب (أوديب) يستنبئ عن مستقبله . وهناك - كما يعتقد الإغريق - تكون
الإجابة . ولا يجدى شئ من تغيير المصير .. لأنه قدر ... أو : (لأن الآلهة
أمرت بذلك) .. (١)

ولعل فكرة (النبوءة) هنا توضح لنا كيف تغلغلت الأسطورة عند الإغريق حتى
أصبحت (ديناً) .

وهى فكرة تخالف تماماً ما عند المسلمين من مفهوم كلمة (نبوءة) و(نبوءة) .
فإن (النبوءة) عند الإغريق قوامها الأسطورة الخرافية وأقيمت على فكرة
(الرجم بالغيب) .

والذى يعيننا هنا أن (النبوءة) هذه : أسطورة ذاعت عند الإغريق حتى صارت
(ظاهرة دينية) انتشرت بين أهالى اليونان ..

ونترك لأحد الباحثين يبين لنا معنى (النبوءة وأثرها) عند الإغريق .
يذكر لنا صاحب كتاب (المأساة اليونانية) أن (النبوءة) شكلت جانب الحياة
الإغريقية فكان لها أثر خطير فى حياتهم : العقائدية والفلسفية والحياتية .
فقد كان الإغريق يعتقد اعتقاداً راسخاً فى (النبوءة) وكان يعتبرها جزءاً هاماً
من دينه الوثنى .

ومن هنا : أولاها الإغريقيون كل رعاية .. فسهروا على رعايتها والحفاظ
على أسطوريتها وألفاظها .. وقد تضلع بكتم أسرارها (طبقة الكهان) فى عقيدة
(الإغريق) الوثنية .

وقد كانت (النبوءات) تتخذ من الشعر والنثر طريقاً للإعلان عن نفسها ..
لكنها اتسمت بسمة محددة وهى : أن أسطورة (النبوءة) كانت دائماً تساق بألفاظ
مبهمة . أو بعبارات تحتل أكثر من معنى . أو بجمل حمالة أوجه .

(١) راجع ص ٤٥ من كتاب (الأساطير).

وقد غطت (النبوءات) كل مناحى الحياة الإغريقية .. فقد حفل التاريخ الإغريقى بأساطير (النبوءات) التى تتصل بنتائج الحروب . و(النبوءات) التى تتصل بمصير الأفراد فى (الغد المغيّب) من أفراح وأتراح . و(نبوءات) تكشف للإغريق عن (دفائن) الماضى .

وعموماً : فإن تاريخ الأساطير عند الإغريق يذكر أن من أشهر (النبوءات) التى عرفها اليونان (نبوءة أبو اللون) فى {دلفى} و « نبوءة زيوس » فى «رودونا»

وقد مهدت : أساطير (النبوءات) إلى : انتشار (العرافة) فى بلاد الإغريق . حتى وجدنا أن اكبر فلاسفتهم (الإغريق) كان يستشير (العرافين) . ولم تكن (العرافة) نوعاً مباشراً من (التنجيم) يعلن صاحبه «المنجم» أنه من (ذاته).

ولكن (العرافة) عند الإغريق : كانت نوعاً من «الدين» . نهج منهج (التنجيم) فى ملاحظة : الظواهر الجوية والأبراج السماوية وعالم الحيوان . وعالم الطير خاصة (الأفاعى) مع نسبة هذه الجزئيات إلى (الزمان) المخصوص .. وصارت بذلك (العرافة) مصدراً للمعرفة الإغريقية تؤثر فى حياته ودينه وفلسفته .

واكتسب « العراف » بالنسبة للإغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد . والأحقاب التى تلتها نوعاً هاماً من التقدير الثقافى والروحى لما يمتلكه من نواحي(الأسطورة) .

حتى صار [واحة للإغريقى فى صحروات المكائد والمصائب] التى تنصيحها له (آلهته) الوثنية كما تحدّثه أساطيره الدينية .. (١)

(١) راجع ص ٣٦ ومابعدها بتصرف من كتاب (المأساة اليونانية فى القرن الخامس قبل الميلاد) د/ محمد خفاجة ود / عبد المعطى شعراوى نشر هيئة الكتاب سنة ١٩٨٦ م

العقل العربى والأسطورة :

ليس من قبيل (الاستطراد) أن ألفت النظر هنا إلى أن : العرب قد عرفوا الأسطورة ومعناها فى طور باكر من أطوار حياتهم .. ولكن سرعان ما سيطر عليهم العقل رغم (الوثنية) التى كانوا يعتقدوها .. فقد كانوا يعيدون عن الأسطورة عندما (عللوا) سبب عبادتهم للأوثان .. إذ أضافوه إلى ضعف إنسانى غريزى وهو (الإلف) .. حيث قالوا : [إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .]

وكانت دعوى (الإلف) (هرويا) من (الاعتماد على الأسطورة) فى تزيين الباطل كما نلاحظ عند (الإغريق) .

ولعله مما يؤيدنا فى ذلك : أن العقل العربى الذى هياه الله تعالى لاستقبال الروحى . أدرك درجة (الأسطورة) من اليقين فصنفها بنفسه فى عداد (الباطل) الصريح ..

وقد صار هذا (التصنيف) العربى للأسطورة : فى ثقافة العربى الخاصة والعامة .. وصار لديه معلوماً : أن الأسطورة هى (الباطل)، وتواتر هذا المعنى لوضوحه لدرجة أنه لم يكن يحتاج عندهم لاقامة الدليل . أو التعريف بالأساطير لشهرة علمهم بها .

وقد تبدى هذا جلياً فى خصومة أهل مكة المكرمة للقرآن الكريم فعندما نزل الروحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. قوبل بخصومة قوية من مشركى العرب .. وهوجم القرآن الكريم بطرق متعددة ..

وكان من أبرز ما رمى به القرآن الكريم (زوراً وبهتاناً) أنه (أسطورة) وأساطير .. وقد حكى القرآن الكريم عنهم مقالتهم . فقال تعالى .. ﴿ إن هذا الا أساطير الأولين ﴾ .^(١) وقال : ﴿ وقالوا أساطير الأولين أكتبتها فهى تلى عليه بكرة وأصيلاً ﴾^(٢) . وقال : ﴿ قال أساطير الأولين ﴾ .^(٣) وقال : ﴿ ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنعام / ٢٥ . وسورة النمل / ٦٨ . وسورة الأنفال / ٣١ .

(٢) سورة النحل / ٦٤ . وسورة الفرقان / ٥ .

(٣) سورة القلم / ١٥ . سورة المطففين / ١٣ .

(٤) سورة الاحقاف / ١٧ .

أنواع الأسطورة

قسم علماء (الأنثروبولوجيا) الأسطورة وأثرها فى الحياة الإغريقية بصفة خاصة.. وحياة بقية الشعوب التى تأثرت بالأسطورة بصفة خاصة إلى ثلاثة أنواع :-

النوع الأول (الأسطورة الطقوسية) :-

و: الأسطورة الطقوسية (Ritual Myth)

يقصدون بها : (الأساطير الطقوسية) والخاصة بطقوس العبادة .على أى شكل أو طريقة كانت هذه الطقوس .

وقد ظهر هذا النوع من الأساطير المطقوسية فى جميع الأزمنة والأمكنة التى عاش فيها الإنسان سواء أكان (وثنى) العقيدة . أو (مبدل) الوخى . أو (محرف) الكتاب .

وتقدم الأسطورة الطقوسية للإغريقى طقسه كاملاً سواء كان (عملاً) أو (قولاً) وتهتم (الأسطورة الطقوسية) فى مجال : (الطقس القولى). بإضفاء جو من الخفاء والغموض المثير على أساطير الأقوال الطقوسية . فتسحر بذلك (خيال) الإغريق .

وقد انعكس هذا (السحر) الأسطورى على كثير من أعمال الإغريق الأدبية من: شعر وقصص ومسرحيات ..

لأنه غالباً ماتكون هذه (الأسطورة) حكاية أو (قصة) مرشاة . بأقوال وأشعار ومفاليق غامضة .. لا يقبلها سوى : الخيال والعاطفة المشبوبة .

النوع الثانى : الأسطورة التعليلية :

ويقصد بها علماء (الأنثروبولوجيا) : الأساطير التى سبقت فى مقام إبراز (علة) العلاقات بين الأشياء ..

فالأسطورة من هذا النوع لها دور (وظيفى) فى تفسير وتعليل الظواهر ..
تعليلاً : يناسب طبيعة الأسطورة ..

طريقها إلى الظهور إلا بعد أن نشأت في المحيط الإغريقي فكرة :
وجود كائنات روحية خفية في مقابل ما هو كائن من الظواهر الطبيعية .
كالرعد وانفجار البركان. وانشقاق الأرض عن الزرع .
وقد أضيفت إلى هذا النوع من الأساطير . أسطورة أخرى كاذبة .
فقد استطاع طائفة من رجال الدين تسلق (الأسطورة) فأوهموا البشر . بأن
(الكهنة) على اتصال بهذه الكائنات الخفية .. وأنهم يكلمونها ويخاطبونها ..
وأنهم يستطيعون أن يسخروها لخدمة من يشاء فهي طوع إرادتهم .
وبذلك ربط (الكهنة) قوتهم بقوة تلك القوى الخفية برباط أسطوري مؤسس
على الاعتقاد الدينى .

وبرز (السحر) كعامل مؤثر في الحياة الإغريقية . متصلاً بالدين .
وقد استغل في هذا الميدان (الكهنة) خصائص بعض الأحجار النفيسة وتميزها
ببريق معين أو صفاء ملفت . أو رونق جميل .

فأدعوا بروح (الأساطير) المتسلطة على العقول الإغريقية أن (روحاً) خفية
تكن فيها .. ويمكن استمالتها عن طريق (القرابين) والأضاحى .. وتقديسها
بوضعها في (تعاليق) على مواضع (الصدارة) في صدر الإنسان أو على جبهته..
إلى غير ذلك من الأمور الخرافية التي مازالت بعض بقاياها الأسطورية سائدة حتى
عصرنا الحديث .

وقد مكنت (الأسطورة التعليلية) رجال الدين الوثنى (الكهنة) من السيطرة
على عقول الإغريق بالأسطورة .

إذ أزالوا من طريقهم كل سيطرة عقائدية تصدر من غيرهم فظهر ذلك عند
الإغريق أنه نوع من (التحرر) من ربة المفاهيم الغامضة إلى نوع من (المعارف)
تصدر عن إنسان مباشر ..

فكانت فرحة الإغريق بالأسطورة المباشرة طاغية. وحجبتهم عن أن يفكر في
المقارنة بين أسطورة بلا تعليل . وبين أسطورة معللة

إذ لو أنه تمهل وفكر .. لرأى أن الأسطورة في الأولى أرحم بإنسانيته من
الثانية .. فالأولى : أسطورة فحسب .. أما الثانية : فهي أسطورة مع طاغوت
البشر من (الكاهن) الأسطوري .. فهي أسطورة مركبة ...

وقد اتهم (الكهان) السحرة الذين من خارج طبقتهم وأورا عليهم العامة وطاردهم فى جو أسطورى .

وقد شجع العصر الأسطورى على قيام الكهنة أنفسهم بأعمال (السحرا) وقدموه فى «أطر» من الأسرار التى حجبوها عن الناس . وخصوا أنفسهم بالشفاعة للبشر أمام الآلهة . والقدرة على (التكهن) والكهانة .

ويعتقد كثير من الباحثين أن (الأسطورة التعليلية) هى التى مهدت الطريق لفلاسفة الإغريق إلى خوض بحار (انفلسفة).

ف نجد من يقول : [إن التعليل للأسطورة . كان بداية العلم قبل الفلسفة .. وشارك السحر فى المهمة قبل أن يرتبط بالدين بحيث كانت الشعائر الدينية والسحرية تمارس فى وقت واحد .. وتردد الصلوات - الوثنية - والتعازيم - السحرية - من نفس الصوت المترنم. دون أن يبدو أى : تناقض - عند الأسطوريين - فى هذا السلوك العجيب لأحد .

ولكنها : المعرفة الأولى .. وما اكثر ما تتداخل العناصر المتناقضة فى تكوين هذه المعرفة [(١)] .

النوع الثالث : الأسطورة الرمزية :

ويقصد بهذا النوع من الأساطير . الذى يعبرُ بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية طبيعية ..

وهذا النوع من الأساطير يكثر فيه الغموض والخفاء فيبدو (معتد) التركيب والفهم .

ولذلك : وصفت الأسطورة الرمزية . بأنها : أكثر تعقيداً من الأساطير الطقوسية والتعليلية ..

وعلىنا أن نبحث نحن عن : المعنى الرمزي فى الأساطير الإغريقية وقد وضع (الرمز) فى أسطورة (الماد) Titah وهو فى الأسطورة الإغريقية (إبن أورانوس وجيا) أى (السماء والأرض)

(١) راجع ص ٤٩ من كتاب (الأساطير) .

وقد اعتاد (الماد) كما تقول الأسطورة أن يأكل أبناءه . لأنه (أنبي) بأن أحد أبنائه سيكون أقوى منه ..

وبحيلة ما . أنقذ منه ابنه (زيوس) الذى صار كبير آلهة الأولمب . وقد أصبح (كروانوس) رمزاً (للزمن) الذى لا يفنى . ويفنى كل شيء ..

النوع الرابع : الأسطورة التاريخية (Legend. Myth)

ويقصد بهذا النوع من الأساطير : الأسطورة التى امتزجت بالتاريخ .. فهى : تاريخ وخرافة .

ويشترط لهذا النوع من الخرافة أن يكون (بطل الأسطورة) قد كان فى مرحلة من مراحل الأسطورة من رجال الدين (الكهنة) سواء كان بدرجة (قديس) أو (راعى).

ورغم أننا لم نجد من الباحثين من - يجزم بالعلاقة بين : الأسطورة والتاريخ فى هذا النوع الأسطورى .

على معنى : هل تحول التاريخ إلى أسطورة ..؟..

أم تحولت الأسطورة إلى تاريخ ..؟..

أم أن هناك مزيجاً من الأسطورة والتاريخ . خلطاً على يد الكهنة فصارا شيئاً واحداً . يصعب التفرقة بينهما .. ؟ ..

وهذه الأسطورة : تتضمن عناصر تاريخية وعناصر من البطولات الخارقة . تأخذ إطار الحكاية .

والحكاية التى تروىها : الأسطورة التاريخية : تتعلق دوماً بمكان واقعى حقيقى . أو بأشخاص حقيقيين . وتنصب الأسطورة فقط على (الحدث) المروى ..

وتنقل الأسطورة التاريخية بطريق المشافهة من جيل إلى جيل .

وقد أخطأ من صور نقل الأساطير غير الأجيال والعصور على أنه (التواتر).

فإنه لو أدرك حقيقة (التواتر) .. لما أقحمه أبداً فى ميدان الأسطورة أو التعريف بها ..

نعم : نستطيع أن نقول إن الآراء تواترت على أن الأسطورة : قامت على الباطل والخرافة ..

ومن هنا : يجب أن نفرق فى الأسطورة التاريخية بين :

- أ- أبطال دخلوا الأسطورة التاريخية كرمز لقوى الفكر والروح مثل : أوديب وسيزيف وأوليس . ولم نجد لهم مكاناً فى التاريخ بمعناه المعاصر .
ب- وبين أبطال دخلوا التاريخ . مثل : أندرياس . وهانيبال . واختلطت : أعمالهم بأساطير أخرى لأبطال خرافيين ..

الأساطير باعتبار القصة :

تختلف الأسطورة بعضها عن بعض باعتبار ما تحكيه من قصص .. على النحو التالى :

- ١- قصص الشعائر والطقوس . مثل : قصة برسيفون وديميتر عند الإغريق . وهى مدونة على جدران المعابد الوثنية الإغريقية ودروع الحرب .
- ٢- قصص التاريخ الأسطوري . وهى التى تمزج الحقائق الخارقة بالأعاجيب . لنخرج منها قصة (شعبية) تتناولها الأجيال ويتلاشى فيها (الواقع) بالتدرج .
- ٣- قصص رمزية .. وهى التى تساق فى نطاق القوى الخفية . أو : إجراء (الحوار) على ما ليس متوقفاً منه (الحوار) كالطير والحيوان والجماد .
وقد أخطأ من مثل لنوع (القوى الخفية الرمزية) . بمالم (الجن) .. فإن الجن ليس عالماً رمزياً . وإنما هو حقيقة واقعة لدى عقيدة المسلمين .^(١)
- ٤- قصص الآلهة . وهى التى تساق لوصف الآلهة الإغريقية . ولا تتضمن عناصر تاريخية . ولا تعرض للنظام الاجتماعى الإغريقى .. أو العقيدة أوالطقوس أو السحر الإغريقى ..
- وإنما تهتم . بالحديث عن (جيا) آلهة الأرض و (أفروديت) و(فينوس) آلهة الخصب والجمال عند الإغريق .
- ٥- القصص الخرافية: وهى التى تساق لتتحدث عن (الخرافة) فى مجال (الطبيعة) .. وكيف (تخرق) قوانين الطبيعة ونواحيها الثابتة .

(١) راجع ص ٥٣ من كتاب (الأساطير) .

مثلاً : نرى فى أسطورة (إيخو ويزكيسوس) (Narcissus Echo) تلك الفاتنة التى أصابها (البكم).والجميل الذى عشق صورته .

وهذا النمط من القصص لوحظ أنه يكون عند الإغريق : المضمون الوحيد لأقدم صور المعارف الإنسانية المعتمدة على الأساطير .

وقد راج بغاية : خلق نوع من التوازن مع الواقع بحيث يصير اللا معقول معقولاً .^(١)

ويحق لنا أن ندهش من تصور أن (قصة خرافية) تحول اللامعقول (معقولاً) .. فهذا تمحل لا يقل عن (الأساطير) فى تنصله من قوانين العقل والفكر الإنسانى الصحيح .

معنى الأسطورة عند المحدثين :

يرى المحدثون أن معنى الأسطورة فى طورها الأول هو : الكلام المنطوق .. ثم (قصة تختص بالإله وأفعاله)

وقد قرب هذا المعنى من المعنى الذى وضعته (المعاجم) العربية لمعنى الأسطورة . كما يقترب هذا من أصل كلمة (الأسطورة) عند الإغريق .. فالأسطورة فى اللغة الإغريقية هى (Mytho.) وهى نفسها (Myth.) ..

ولكن (لويس سينس) يقرر فى كتابه (من الحقيقة ؟ إلى : الأسطورة الدينية): أن الأسطورة ليست تفسيراً تمليه الفائدة العلمية بقدر ما هى : استجابة لنزعات دينية وارتباطات اجتماعية .

وعليه : فيمكننا التوسع فى تعريف معنى (الأسطورة) عند علماء (الانثربولوجيا) . ثم يقول :

إن الأسطورة التى وصفت الطقوس . وكانت القول الفصل فى الشعائر الدينية بحيث كانت الأسطورة (تمارس) حقيقة فى (المعابد) ديناً .. صارت (قصة للآلهة) بعد أن أصبح (الكون) بكل ما فيه محل تساؤل عام من الجماعات .

(١) راجع ص ٥٤ من المرجع السابق

الأسطورة والفلسفة

وعندما صارت (الأسطورة) هي التي تتضلع بالإجابة عن التساؤل الإنساني الذي صار محلاً للكون . بدخلها نطاق (الأسطورة الدينية) .. أصبحت عملية موضوعية لنوازع عميقة ودقيقة عند الإغريقى الذى يجد فى (الأسطورة) ملاذه ومصدر معارفه ..

وصارت (الفلسفة الإغريقية) فيما بعد تجرد فى رموز الأسطورة : تفسيراً تنشئ عليه : قاعدة فلسفية صارت هى : البناء الفلسفى عند الإغريق .. وقد انتشرت (الأسطورة) فى التراث الإغريقى بصورة لم تؤلف من قبل عند الشعوب الأخرى .. رغم تسليمنا بأن كل الشعوب شريقيها وغربيها عرفت الأسطورة ولكن الفرق : أن الشرق عرف الأسطورة وجاءته رسالات السماء .. وخاتمتها (رسالة الإسلام) تطهره من الأساطير .. أما الإغريق .. فقد لُون بالأساطير فلسفته .. ولما (تمسح) احتفظ بالكثير من هذه الأساطير عقيدة له ..

ثم بعث الغرب : التراث الإغريقى من فن وأدب وشعر وفلسفة وعقيدة .. ليصور به فى استعلاء تقدم الفكر والفلسفة الإغريقية على : الشرق .. وليته ما فعل .. فقد فتح على نفسه : تاريخاً يخبر بوضوح بما كان عليه أجداد صناع الحضارة المعاصرة ..

فإن الناظر لرأى أحد المعجبين بما تركه الإغريق من تراث فإنه يجد أنه [تراث ضخم خالد خلفه الإغريق به أدب وفن وعلم وفكر . والأسطورة كان لها أهمية خاصة بين ثنايا ذلك التراث الضخم الرائع ..

والدارس : أى دارس - لا يكاد يلتقى بجزء من ذلك التراث . إلا ووجد نفسه وجهاً لوجه مع الأساطير الإغريقية . فالأساطير الإغريقية عديدة . وتفصيلها متعددة . ومضامينها مختلفة .

ومن أجل فهم التراث الإغريقى أو دراسته أو حتى تذوقه . يجب الإلمام بالأساطير [١].

(١) راجع ص ٥ من كتاب (أساطير إغريقية) د / عبد المعطى شعراوى نشر هيئة الكتاب سنة ١٩٨٢ م .

الفصل الثاني

تأثير الأسطورة في الفكر الإغريقي

التراث الإغريقي :-

إذا أردنا أن أن نقف على (تأثير) الأسطورة في الفكر الإغريقي . فإننا لابد أن نلقى نظرة عامة على بعض التراث الإغريقي متخذين أشهر الأسماء والألقاب . وسيلة لهذه النظرة ..

فمصادرها عن هذه النظرة التأثرية هي (التراث) الإغريقي منذ بكونه سواء كان قبل الفلسفة أو بعدها أو معها ..

أول ما وصلنا من تراث الإغريق (الإلياذة) و (الأوديسة) وهما (ملحمتان) شعريتان ينسبان لشاعر إغريقي يدعى (هوميروس) ..
وسواء أكانتا من عمل (هوميروس) . أو أضيف إليهما فيما بعد من (منحول) الشعر الإغريقي .. ؟...

فإن الأمر بالنسبة لما نحن بصدده سيان .. لأننا نرقب الأسطورة الإغريقية وعلاقتها بتفكير الإغريق الباكر .. أتى وجد العقل الإغريقي

وعليه : فإن قريحة (هوميروس) الإغريقي .. تستوى لدينا في ميدان الأسطورة فهي هنا مثل (قرائح) غيره من الإغريق .. الذين دونوا أو اخترعوا الأسطورة معبرة عن معانٍ عقائدية أو فكرية أو اجتماعية .

فإن الموثوق به حقاً : أن هوميروس قد وضع اسمه علي (مدونات) اعتبرت من (التراث الإغريقي) فنظرنا هنا إليها بالذات لا «بالنسبة» .

وقد ظهرت (الإلياذة) و (الأوديسة) في القرن العاشر قبل الميلاد .

والذي يهمنا هنا : أن نشير إلى أن بداية التفكير اليوناني كان أسطورياً .. بل إن (الإغريق) قد بهرتهم الأسطورة عند (هوميروس) دون أن تصادم فيهم عقلاً أو منطقاً ولقد اعتقد الكثير من الإغريق أن الاساطير عند (هوميروس) قدمت الكثير من (الحلول) لمشكلات إغريقية . تختص بالآلهة .

ولسنا بصدد تقدير (الإلياذة والأوديسة) من الناحية الأدبية والجمالية وإنما الذى يعيننا هنا .

[أن الإلياذة والأوديسا مليشتا بالأساطير الإغريقية فهما كنز لا يفنى (١) .. ومعبد لا ينضب .. نهل منه الشعراء والكتاب الإغريق فيما بعد . وربما يقصد المؤرخ الإغريقي هيروتوس - هيروت - حين يقول : إن هوميروس وهيسيو دوس .^(١) هما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة . وأطلقا عليها ألقاباً وفصلاً عباداتها واختصاصاتها . وبيننا أشكالها ..

فلقد أصبحت (الإلياذة والأوديسا . فيما بعد دستوراً للإغريق . وهدايا لهم . ومركز للمعلومات التى يحتاجون إليها فى مجالات علاقاتهم بالآلهة . فالآلهة والبشر يختلطون اختلاطاً تاماً ويشكلون عالماً واحداً فى : الإلياذة والأوديسا]^(٢)

وتعتبر (الإلياذة والأوديسة) : أقدم ما وصلنا من شواهد الفكر اليونانى .. وأهم ما يلفت النظر فيهما من هذه الناحية : تصوير الآلهة والمبادئ الأخلاقية . فالآلهة فى قمة (الأولب) يؤلفون (حكومة ملكية) على رأسها (زيوس) . وكلهم فى صورة بشرية يحيون حياة البشر . فيأكلون وشربون ويتزاوجون . لهم مثل ما لهؤلاء من عصبيات وشهوات ونقائص . ولا يميزهم منهم - الآله من البشر - إلا أنهم أذكى عقلاً وأقوى جسماً . وأن سائلا (عجيباً) يجرى فى عروقهم فيكفل لهم الخلود (١) . وسيطر آلهة الأولب على شئون البشر . ولكنهم لا يلتزمون بالعدل (!) . فيضربون بذلك أسوأ الأمثلة فى الأخلاق ..

وفى القرن الثامن - قبل الميلاد - نجد ديوانين ينسبان لهزيود . فأما أحدهما واسمه (الأعمال والأيام) فعباره عن قصص وأمثال تحث على الخلق وأما الديوان الآخر واسمه (أصل الآلهة) فيعدّ أول محاولة فى العلم الطبيعى

(١) هوميروس صاحب (الإلياذة) أما (هيسودوس) فهو المعروف باسم (هزيود) صاحب ديوان الاعمال والايام .

(٢) راجع ص ١٢ من كتاب (أساطير إغريقية) د / عبد المعطى شعراوى .

لأن الشاعر قد ألف فيه مجموعة مرتبة من (الأساطير) والمعارف القديمة . فنراه يرتقى إلى : البدء وسلسل الأشياء والآلهة فى ترتيب يدل على أنه أراد أن يتدرج من الفوضى إلى النظام ..

على أنه هزبود - يروى عن الآلهة من النقائص والمخازى مالا يفترق عما صادفناه فى الإلياذة .

فهو إذن : لم يتحرر من الخيال الشعبى - الأسطورة - تمام التحرر .^(١)

ونستطيع أن نلتقط ما يهمنى هنا فى الآتى :

١- الإلياذة والأوديسة أول ما وصلنا من (التفكير الإغريقى) . وكلهما بنيت على(الأسطورة) .

٢- وصلنا عن (هزبود) الإغريقى : ديوان (الأعمال والأيام) وديوان (أنساب الآلهة) .. وكلها بنيت على الأسطورة .

٣- إتفاق (الباحثين) على أن هذه البواكير الإغريقية ملئت بالأساطير الإغريقية .

٤- شهادة (هيرودت) المؤرخ اليونانى الذى زار مصر سنة ٤٥٠ ق.م على (هوميروس) و (هزبود) . بأنهما بالأساطير التى وردت فى التراث المنسوب إليهما. قد اختلتا للإغريق (دينا) أسس على الأسطورة .

وإن هذان الرجلان الإغريقيان . هما اللذان أقاما للإغريق (العبادة) ومزجوها بالأساطير .

٥- إعجاب الإغريق بتراث هوميروس وهزبود الملئ بالاساطير ..انعكس على (الفكر الإغريقى) . فاعتبروه دستوراً إغريقياً يصهر تفكيرهم وحياتهم العقائدية .

٦- تأثر الكتاب والشعراء والفلاسفة بالأساطير التى جاءت عند (هوميروس وهزبود) ورثى ذلك فى مناحى متعددة فى الفكر الإغريقى .

٨- تعدد الآلهة . أسطورة عقائدية فاسدة كانت هى (عقيدة الإغريقى) .

٩- أسطورة (الدماء) العجيبة الذى تجرى فى عروق الآلهة البشرية . تلقاها الفكر الإغريقى واستغلها (الغرب) فى عصور كثيرة وعرفت باسم (الدماء الزرقاء).

(١) راجع ص ١ من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د / إبراهيم مذكور

١- إن الانطلاق إلى الفهم والعلم الطبيعي فى بكون الفكر الإغريقى . اعتمد على (الأسطورة) مثلما فعل (هزود) فى (أصل الآلهة).

وصف تراث هوميروس :

تعتبر (الإلياذة والأوديسة) قمة الأعمال الأسطورية فى إطار أدبى .
وتتكون (الإلياذة) من (٥٥٣٧) خمسة آلاف وخمسمائة وسبعة وثلاثون بيتاً من الشعر الإغريقى . موزعة على (٢٤) أربعة وعشرين نشيداً .
وكلها فى وصف الأيام الأخيرة من (حرب طروادة) .
أما (الأوديسا) فتكون من (إثنى عشر بيتاً) قسمها النقاد إلى(٢٤) أربعة وعشرين نشيداً .
وهى تحكى أسطورة (تليماخوس) بعد أن ضل أبوه (أوديسيوس) فى البحر وهو عائد من (طروادة) عقب إنهائها ..
ثم تحكى : مغامرات (إديسيوس) وانتقامه من أعدائه وفيها (الدعاء) لربات الشعر الإغريقية . وحشد هائل بأسماء الأبطال والآلهة ..
وأشهر أبطال (التراث الإغريقى) الأسطورى أخيلوس . وأديسيوس .
وأجاممنون . وهكتور وباريس .
وأشهر الآلهة الأسطورية فيه : زيوس . وأبوللو . وهرميس وديونيسوس .
وإيروس . وهاديس .
وأشهر الآلهة الأسطورية النسوية : (هيرا) زوجة زيوس كبير الآلهة .
و (ديمتير) إلهة الزراعة والحبوب الخرافية . و (أفروديت) إلهة الجمال .
وترد فى الأساطير الإغريقية عند هوميروس أسماء كثيرة أسطورية . مثل :
أوديب وسيزيف . وبيجماليون . وهيرو . وأنتيوس .
ويعتبر المؤرخون (أن موت هوميروس أنهى عصر الملاحم والخرافات .)^(١)
ولكننا لا نوافق على ذلك بدليل :

(١) راجع ص ٢٠٤ من كتاب (الاساطير) .

١- مجيء (هزيود) بعد (هوميروس) بقرنين من الزمان (القرن الثامن قبل الميلاد)^(١) .

٢- تأثر (المفكرين) والفلاسفة الإغريق بهذا التراث الإغريقي .. وكما لمح دائماً في طيات الفلسفات والمذاهب الإغريقية وعند كبار الإغريق بل وفي أهم المدارس الفلسفية .

وعموماً : فإن (زيوس) عند (هوميروس) هو السلطان الذى يحكم مجتمع (الآلهة) الأسطوري .

وقد صور هوميروس (الآلهة) فى صور بشرية . ولكن الأساطير التى خلعها على (الآله البشر) . أضفت عليه قدراً هائلاً من القداسة فى مجتمع يؤمن بالخرافة ويشكل فكره الأسطورة

فقد كادت أن (تطمس) الصورة البشرية من جراء الأساطير الناعمة القوية .. وبالرغم من ذلك فقد اعترض بالنقد بعض النقاد الإغريق على طريقة كل من (هوميروس وهزيود) فى حديثهما عن الآلهة .

يقول كسينو فانيس :

[إن البشر العاقلين ينشدون عن الآلهة أشعاراً وقصصاً ذات فال حسن وكلمات نقية .. ولا يتحدثون عن : النياتن والعمالقة والقناطير التى هى من نسج خيال القدماء ..

ولقد نسب هوميروس وهزيود إلى : الآلهة كل مايجلب العار على البشر : [السرقه والفحشاء والخداع] ..^(٢)

ومهما يكن من محاولته لستر ذبوع (الأسطورة) فى الفكر الإغريقي فإن الحقيقة : أقوى من حماس من غرق في : « إغريقيته » أو محب لإغريقيته .

فإن تراث (هوميروس) قد صار (السجل الرسمى لعقيدة الإغريق) والمرجع الأساسى لدارس أساطيرهم .

(١) راجع ص ١٠ من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د / ابراهيم مذكور .
(٢) راجع هامش ص ١٣ من كتاب (أساطير إغريقية) د / عبد المعطى شعراوى .

وصف تراث هزيود

يتكون ديوان (الأعمال والأيام) لهزيود من أربعة أجزاء :

١- فى الجزء الأول يشير (هزيود) إلى : الصراعات والمخصومات بين الآلهة.
ويشرح (هزيود) بأسطورية كيف نشأ الشر بين الناس متخذاً : (أسطورة باندورا)
طريقاً لعرض فكرته ..

أسطورة باندورا :

وهى أسطورة طويلة جداً تعبر عن الفكر الإغريقى الأسطورى وكيف عاش
حياته العقائدية فى (أسطورة) باطلة أتخذها طريق حياة . ومنهج عبادة .
وبهنا أن (نلخص) هنا (أسطورة باندورا) . لما تحتويه من حديث عن علاقة
(الآلهة) الأسطورية ..

وتفسير الفكر الإغريقى لخلق (العالم) ونشأته .. وتوضيح الصراعات الأسطورية
بين الآلهة الأسطورية ..

تقول الأسطورة :

زيوس . رب الأرباب . ملك الملوك . حاكم الأرض والسماء وما بينهما . صانع
أقدار الآله والبشر .

وتحكى الأسطورة أن (زيوس) أضطر لخوض (المعارك) ضد أبيه الذى
أنجبه ، وأنه حارب المسوخ والنياتن .. وهو فى الأسطورة إبن (التيتن) من
الحوارية (كلومين) . وكان معروفاً بالدهاء والمكر .

وعرف باسم (المتروى) . وقد انشق عن زملائه (التيتان) عندما أحس أن
النصر سيكون (لزيوس) . وصار (عقل) زيوس المفكر . وجذب معه أخاه
(إيحيثيوس) .

ولما انتصر (زيوس) : اعتلى العرش . وطهر الكون من شرور المسوخ والمردة
والتيتان . وحدد على الأرض : الماء واليابسة .

ونظم حياة (الآلهة) . وأسند لكل إله وظيفة تليق بمكانته (١) وقدرته .
ولم يعد يبقى - كما تقول الأسطورة الباطلة - سوى خلق البشر وبقية
المخلوقات الأرضية .

وأنا ب (زبوس) بعد تفكير طويل : بروميشوس وأخاه الذى بدأ بخلق
(الحيوانات) و(الطيور) ..

ثم جاء دور خلق (الرجل) .. فأعطاه صفات (الآلهة) بعدما وزع للصفات
الأخرى من قبل على الحيوان والطيور من جمال وقوة ووحشية وصبر وافتراس ..
فقد خلط (بروميشوس) فى الأسطورة : التراب بالماء وشكل منه (مخلوقاً)
يشبه (الآله) وسيره على اثنتين ومنحه بشرة ملساء بلا ريش أو فراء . ومنحه
القدرة على الكلام .

وعندما همّ (بروميشوس) أن يمنح (الخلود) للرجل تدخل (زبوس) . ومنع
ذلك .

وهكذا نجد أن (الأساطير الدينية) عند الإغريق لا تفرق بين الرجل الإغريقى
وآلهته .. لهذا السبب الأسطورى .

وإن كان ثمة من فرق فى الأسطورة .. فإن الرجل يموت والآلهة الإغريقية
يدعون أنها خالدة لا تموت .

وبعد إتمام الخلق للأرض ومن عليها تتتابع الأسطورة فتعرض أن الرجل عاش
على الأرض سعيداً . والآلهة فوق (أوليمب) الشاهقة ترقب سعادته .

ولكن المشكلة حدثت من (بروميشوس) . إذ لم يكن يستطيع العيش مع
الآلهة فى أولمب . لأنه ليس باله .. ! ..

ولم يكن يستطيع العيش مع البشر . لأنه ليس ببشر . إذا هو : نصف
آله...!؟

وكانت تخشاه الآلهة لمكره .. ويحبه البشر ويعتبرونه المدافع عنهم من الآلهة .
وقضى (الأسطورة) وتحكى عن (غفلة) كبير الآلهة (زبوس) يوم (الوليمة)..
فقد رغب البشر فى إقامة وليمة وتقديم (هدية) للآله (زبوس) تعبيراً عن
الإخلاص .. فأحضروا (ثوراً) وهياوا للوليمة وتحلقوه ضارعين إلى (زبوس) الذى
لبى الدعوة .

وعندما جاء دور (الإطعام) اختلف (زبوس) مع البشر) على : تقسيم
الذبيحة .

١- البشر يرون أن (الإله) نصيبه منها مثلهم .

٢- زيوس يرى أن الوليمة له .. فهي كلها له ..

واقترح (بروميثيوس) تقسيم (الذبيحة) مناصفة بين زيوس والبشر . ورضى الطرفان بذلك .

وتولى (بروميثوس) مهمة التنصيف للذبيحة . فقطعها وفصل عظامها عن اللحم . ووضعها على هيئة (كومة) على يمينه .

ثم أتى بالأعضاء وبقية الأجزاء الداخلية الرديئة ولفها فى غفلة من (الإله زيوس) (١) حول اللحم الخالص .

ثم وضع عن يساره : شرائح من اللحم ولفها فى غفلة (زيوس) حول العظام . ونظر كبير الآلهة إلى (الكومتين) فاختار الكبرى المغشوشة وحملها معه إلى (قمة الأولمب).

وعندئذ اكتشف (زيوس) أنه (خدع) ولكنه لم يجرؤ على ردها للبشر . وأطل على البشر من عليائه . فوجد البشر يستعدون لإشعال النار لإنضاج الطعام . واغتاط (زيوس) ونفرت (عروقه) من شدة الثورة وكشر عن أنياب ناصعة البياض وصرخ قائلاً :

لن يهنا أحد من البشر بذلك اللحم الطرى .. لن تنجحوا فى إشعال النار . وليتناول البشر اللحم (نيثاً) .

وفشل البشر فى إشعال النار . واختفت النار ومعها (الدفء) وتأنم (بروميثوس) لعذاب البشر . وكان واسع الحيلة فصعد خلسة إلى السماء . وغافل (زيوس) وسرق (قبساً) من اللهب . وهبط فى خفة إلى الأرض .. وأشعل البشر النار فى سعادة . وأقاموا (المحارِب) لتقديس (زيوس) وتقديم القرابين التى ظلوا يأكلون لحمها الطرى ويزكون العظام لزيوس ..

وقد استولى الغضب على (زيوس) . وأكلت ناراً (الحقد) قلبه . كلما شاهد (النيران) تتحداه .

ولكنه كما تقول الأسطورة . لم يندفع كعادته (١٢) .. بل فكر فى الانتقام من (بروميثيوس) المخادع ..

واستدعى (زيوس) كما تحكى الأسطورة ابنه (هيفايستوس) الإله القمى
الأعرج الفظ صانع أدوات الحرب المهلكة ..

وحوله إلى (أنثى بشرية) ونادى بقية الآلهة أن تعطىها أعز الصفات التى
يقدر عليها كل إله إغريقى ..

فوهبت العينان الجميلتان . وبقية صفات الجمال الأخاذ ومنحه (هرميس) :
الكذب اللذيذ والخداع الحلو .

وملاً (زيوس) صندوقاً بالجواهر والهدايا ومنذ تلك اللحظة عرفت هذه المخلوقة
باسم (باندورا) . ومعناه (هدية الجميع) أى : إلى جميع رجال الأرض من جميع
(الآلهة) .

وعندما علم (بروميثيوس) الذى يعلم كل شئ فى السماء والأرض بأمر
(باندورا) . أمر أخاه أن لا يخذع بهدايا (باندورا) ..

ولكنه أعجب بجمال (باندورا) فلما قدمت له (الهدية) تذكر تحذير أخيه .
واعتذر عنها فى لطف .

وثار (زيوس) واشتد غضبه . وقرر الانتقام من (بروميثيوس) فقبض عليه .
وصلبه على صخرة فى منطقة نائية جرداء . وسلط عليه طائر (العقاب) ينتزع
كبده فى الصباح .. وعندما ينمو له كبده فى المساء .. يعاود النزاع . وهكذا ...

وتألم الأخ لأخيه . فقبل صندوق (الهدية) . وعاشا سوياً . وفارقهما (هرميس)
ناصحاً لهم بعدم فتح الصندوق أو معرفة محتوياته .

وعاشت (باندورا) فى مجتمع ليس فيه فساد مع زوجها فى وئام .. ولكنها
كانت قلقة على فتح الصندوق .

وتمكن منها (حب الاستطلاع) فقامت لتفتح الصندوق ومنعها زوجها من فتحه
وتشاجرا وصفعها على وجهها وصرخت وتجمع البشر . واختلفوا ما بين مؤيد
ومعارض ..

وانتشرت (الأويثة) بعد فتح الصندوق وعلم أن (زيوس) كان قد سجن فى هذا
الصندوق جميع الأويثة والمتاعب .. وبنفته انطلقت إلى الأرض تؤدى غايتها .

ولكن (زيوس) أرسل مع أرواح الأوثىة . روحاً طيبة هى (روح الأمل) . وقد حبسه (هروميثيوس) عندما أغلق (الصندوق) بسرعة قبل تسرب جميع ما فيه من الأوثىة .

وعاش (الأمل) سجيناً .. وتسرب (اليأس) إلي(باندورا) وحاولت الانتحار.. وسارع (هروميثيوس) ففتح الصندوق لروح (الأمل) الذى انطلق بين «البشر» فعادت البسمات . ودبت الحياة فى النفوس . وأصبحوا بالأمل أكثر قدرة على تحمل الحياة .^(١)

هذا ملخص سريع لأسطورة (باندورا) . ويظهر فيها مثل بقية الأساطير الإغريقية ما يلى :

١- كيف كانت آلهة الإغريق على هيئة البشر ؟!..!

٢- وكيف تخدع الآلهة ويمكر بها ولا تشعر .. ؟!..!

٣ - وكيف يحقد كبير الآلهة من أجل قطعة (لحم طرى).. ؟! ..!

٤- وكيف كان (يحتال) لينشر الفساد على الأرض الطاهرة .. ؟!..!

وهكذا : نجد (الأساطير) الإغريقية التى تصور الفكر الإغريقى موغلة فى الوثنية والسذاجة الفكرية البدائية التى تدعوا إلى : الرثاء والسخرية ممن يعبد هذه (الآلهة) الأسطورية وقيم لها (المحارب) ويقدم لها (القرايين) .

وعوداً نقول : هذا " نموذج " سريع لما يحفل به (التراث الإغريقى) عند هزبود.

ولسنا بصدد عرض كل (الأساطير) هنا . فهذا ليس منهجنا هنا .. بل إن منهجنا أن نشير فى (وجازة) إلى أن الفكر الإغريقى عرف (الأسطورة) .. بل وتواصل على كثير منها فى جميع مراحلها .. حتى فى عصور (الشوامخ) من (الفلاسفة) ..

٢ - أما الجزء الثانى من ديوان الأعمال والأيام : فيشرح فيه (هزبود) كيف يستطيع الإنسان أن يكون غنياً بالمال . وطريقه (العمل) ..

٣ - وأما الجزء الثالث من ديوان الأعمال والأيام : فيدور حول : السلوك والأعمال العامة والأعمال المنزلية .

(١) راجع تفصيل هذه الأسطورة من ص ٨١ إلى ص ٩٧ من ك [أساطير إغريقية]

٤- وأما الجزء الرابع من ديوان هزبود . فيدور حول (تقويم) ملائم للزراعة في أيام الشهر من كل عام ..

والقصيدة في مجموعها : (ليست سوى مجموعة متباينة من الأساطير والملاحظات الأخلاقية .)^(١).

ديوان أنساب الآلهة :

أما ديوان (أنساب الآلهة) . فهو : عرض مفصل للمراحل التي مرَّ بها (العالم) من : آلهة وبشر .

وفيه يتحدث (هزبود) عن (العائلة المقدسة) في (أولمب) ويتابع السلالات الأسطورية . حتى يصل إلى سلالة (الأبطال) .

وكل الديوان عرض (أسطوري) بلا ترابط . ملئ بالمأساة والكوارث للآلهة وللبشر من الآلهة .

وهكذا نجد : أن (التراث الإغريقي) لهوميروس وهزبود قد صور (الحياة الفكرية) عند الإغريق في نواحي العقيدة والاجتماع وغيرها .

وقد أثرت هذه الموارد التراثية الإغريقية لدى اليونان حتى وجدنا لدى الإغريق (مجموعة أخرى من القصائد مجهولة المؤلف والزمان والمكان سار ناظموها على نهج (هوميروس) وحشدوا تلك القصائد بأساطير الآلهة والأبطال .)^(٢)

أساطير بنداروس :

وقد تماثل (بنداروس) ٥١٨ ق.م / ٤٣٨ ق.م وهو أشهر شعراء الإغريق . مع هوميروس وهزبود في قيامه بالاعتماد على الأساطير في شعره الغنائي . حتى أنه يعتبر مصدراً هاماً من المصادر التي أثرت في الفكر الإغريقي وتلويته بالأسطورة ..

فقد اندفع اندفاعاً نحو (الأسطورة) يستلهمها المعاني . وينسج عليها إعجاباً وغراماً بالأساطير . فملاً كل قصائده بالأساطير .

(١) راجع ص ١٦ من كتاب (أساطير إغريقية) .

(٢) راجع ص ١٩ من كتاب (أساطير إغريقية) .

وكان يشعر بالسعادة وهو : يتحدث عن أساطير الآلهة وقد مهدّ بشعره الأسطوري الغنائي لنشأة (التراجيديا) - المأساة - الإغريقية الأسطورية على يد : إيسخولوس وسوفوكليس ..

خاصة وقد ارتبطت (التراجيديا) عند الإغريق منذ نشأتها بعبادة الإله الأسطوري (ديونوسوس) .

أساطير أريستوفانيس :

وهو يعتمد على الأسطورة فى فنه (المسرحى) . وقد عاصر (سوفوكليس) والفيلسوف (سقراط) والسوفسطائيين .

ولم تكن الأفكار السائدة فى عصره قادرة أن تبعده كثيرا عن الأساطير . ولذلك فإن أعماله كلها مليئة بالأساطير زاخرة بالاشارات والتلميحات الأسطورية مثل مسرحية (الضفادع) .^(١)

أساطير هيروودت :

يعتبر (هيروودت) المؤرخ الإغريقى : مصدراً ثرياً للتراث الإغريقى . فقد أقام فى (أثينا) ثم منح حق (المواطنة) [فاكْتَسَبَ خِبره واسعة وعلماً ودراية بالأساطير الإغريقية وبالتاريخ الإغريقى]^(٢) .

وقد جاء تاريخ (هيروودت) مليئاً بالأساطير زاخراً بقصص الآلهة والأبطال .. ويخلط (هيروودت) أثناء (عرضه) بين : العنصر التاريخى . والعنصر الأسطورى . (و) وهكذا : يمتلئ تاريخ هيروودتوس بالأساطير الإغريقية .. ويجد القارئ نفسه عاجزاً عن التمييز بين التاريخ والأسطورة .

(وكثيراً ما دخلت أساطير كثيرة من أبواب التاريخ ودخلت الأحداث التاريخية من أبواب الأساطير) ^(٣) .

(١) راجع ص ٤٧ من كتاب (المأساة اليونانية) د / عبد المعطى شعراوى هيئة الكتاب .

(٢) راجع ص ٧ من كتاب (هيروودت فى مصر) د / وهيب كامل الأنجلو .

(٣) راجع ص ٢٩ من كتاب (أساطير إغريقية) .

الفصل الثالث

اثر الانسطورة على الفلسفة الإغريقية

يقسم مؤرخوا الفلسفة العصور الفلسفية عند الإغريق إلى قسمين :-
الأول : العصر الإغريقي : ويطلق عليه بعض الباحثين أسم (العصر الهيليني).
ويقصد بهذا العصر : الزمن الذى كان فيه التفلسف الإغريقى وفقاً على :
العقلية الإغريقية .

وذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد .
ويدخل فى هذا العصر المدارس الفلسفية الآتية :

- ١- المدرسة الطبيعية اليونانية بمراحلها .
- ٢- المدرسة الايلية بمناهج فلاسفتها المختلفة .
- ٣- المدرسة الفيثاغورية .
- ٤- الاتجاه السوفسطائى .
- ٥- شوامخ فلاسفة الإغريق (سقراط وأفلاطون وأرسطو) .
- ٦- المشائية الأرسطية .

الثانى : العصر الإغريقى الرومانى :

ويقصد به : الفترة الزمنية التى أعقبت العصر الإغريقى وتفلسف فيه عقلية
أخرى (غير) العقلية الإغريقية . فى (التراث) الفلسفى الإغريقى ..
سواء أكانت عقلية : إغريقية أو سورية أو رومانية .. فهو العصر الذى
تفلسف فيه (العقل) الإنسانى العام . دون نظر إلى إقليم أو جنس . فى ظل :
الإمبراطورية الرومانية ..

ويبدأ هذا العصر الرومانى من .

آخر القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن السادس الميلادى من الطور
الرومانى فى (بيزنطة) و (روما) ..

وإلى منتصف القرن السابع الميلادى فى الطور الشرقى فى (مدرسة
الإسكندرية) ..

ويوالى امتداده إلى القرن الثامن الميلادي في رحاب مدارس (الرها وانطاكية ونصيبين) في سوريا والعراق .

وينتهى هذا العصر إلى : (عصر الترجمة) والنقل عند المسلمين .

منهج التناول :

وسنقصر حديثنا هنا على (الجانب الإغريقي) دون دخول في العصر (الرومانى).

وهذا منهج لن يفوت (فائدة) بإذن الله تعالى .. لأن الفلسفة الإغريقية التي سنذكرها هي التي ورثتها (الحقبة الرومانية) .

ومعلوم أن (الرومان) أعجبوا بالفلسفة الإغريقية . فحاكوها وعندئذ نستطيع القول : بأن الرومان حكمتهم الفلسفة الإغريقية. وكان هذا إبان (القوة) الرومانية .

ولما وهن الرومان .. ضعفت بذلك الفلسفة في العصر الرومانى .. فكثرت فيها (الأساطير) . وسيطرت عليها (الخرافة) وجمد العقل عن التفكير .

ومن هنا : نخلص إلى أن العصر الإغريقي في الجانب الأسطوري يعتبر معبراً حقيقياً عن الجانب الرومانى .

وإذا كان هناك ثمة فرق : فإن (الرومانى) زاد في الأساطير عن (الإغريقي) . وللحق نقول : إننا وجدنا فيلسوفاً - حالة خاصة ونادرة - مثل (أبيقور) هو الذي يعتبر (أول من تجرأ على نقد الأسطورة)^(١) .

أولاً : طابع الفلسفة في العصر الإغريقي :

إن الفلسفة الإغريقية لم تكن : ابتكاراً لفلاسفة الإغريق . بل انتزاعاً واختياراً مما كانوا عليه من ثقافة وتفكير سائد فيهم قبل عهدهم بالتفلسف .

وقد هدف الإغريق من (التفلسف) إلى : (التخلص من سلطان طائفة معينة هي : طائفة الكهنة . أو : أرباب المعرفة الدينية - النبؤات - ..

(١) راجع ص ١١ من ك (فلاسفة الإغريق) تأليف (ريكس وورنر) .

والى : التخلص من (قداسة) تعاليم الكهنة .. وذلك عن طريق وضعها موضع النقد تحت ميزان العقل الإنسانى .

(فما أيدته العقل منها عدّ من ضروب الفلسفة . ومالم يرجح لديه بقى فى حينز الأساطير الدينية)^(١).

ولكن هل تم للإغريق تنفيذ هذا المنهج المثالى آنذاك ..؟..

إننا لا نستطيع أن ندعى ذلك .. بل : ولا الإغريق أنفسهم ادعوا ذلك .. فقد أعرب (النقاد) الإغريق على أسفهم للأساطير التى تسربت إلى الفلسفة الإغريقية .

ونجد : كيف استطاعت (الأسطورة) الإغريقية أن تهاجم فى قوة كل العقول الإغريقية .. سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر ..

ونجد الدكتور محمد البهى بعد ذلك يتنصل فى دقة من دعوى الميزان العقلى الحاسم للفكر الإغريقى فى ذلك العصر الذى ادعاه من قبل ..

فيستدرك مؤكداً أن (صلة) الفلسفة الإغريقية وثيقة بثقافة الإغريق آنذاك وهى (أسطورية) فى الجانب الفكرى والعقائدى وغيرها ..

فيقول : [فصله الفلسفة الإغريقية بثقافة الإغريق الدينية ومعارف الكهنة - الأسطورية - فيهم صلة : وثيقة . وتأثر تلك بهذه - الأسطورة بالنبوءة والنبوءة بالأسطورة - أمر واضح .. على معنى : أن فلسفة الإغريق احتوت على عناصر من ثقافة الشعب الإغريقى - الأسطورة - ولهذا الصلة بين فلسفة الإغريق . وثقافة الشعب الإغريقى الدينية - الأسطورة - (نعشر) فى الفلسفة الإغريقية على عناصر الديانات الشعبية البدائية التى كانت للعقيدة الإغريقية قبل التفلسف . وفى زمنه - فى زمن التفلسف - وعقيدة الإغريق : كانت أدخل فى معنى (البدائية) من أية ديانة (شرقية) . صاحبها فى ذلك الوقت]^(٢).

(١) راجع ص ٣٢ من كتاب (الجانب الألهى من التفكير الفلسفى) د / محمد البهى .

نموذج من تأثير الأسطورة على الفلسفة الإغريقية :
علنا نبادر فنكتطف (نموذجاً) يظهر فيه أثر (الأسطورة) على التفكير
الإغريقي .

فقد شاعت (الأسطورة) فى بناء الفلسفة الإغريقية .. حتى صيرها العقل
الإغريقي : نوعاً من الفلسفة . وأقام على (الأسطورة) الكثير من الآراء
والتعليقات والمذاهب الفلسفية .

ونحن هنا سنتابع (باحثاً) نعتقد أنه أكثر الباحثين وقوفاً على ما عند الإغريق
والغرب . وله (بدرات) تشى بإعجابه بالفلسفة الإغريقية عندما يتعرض للمقارنة
بين مدارس (المشائية) ..

فنحن نعلم أن (الأساطير) فى العقيدة الإغريقية قامت على فكرة (تعدد)
الآلهة الأسطورية .

وكنا نتوقع عند يقظة (العقل) عند الإغريق وتنشطه للفلسفة أن :
أ- يتوصل العقل الفلسفى إلى أن (الأسطورة) باطل خرافى .. إذ أن تمام
العقل فى البراعة من الأسطورة ..

ب- أن يتوصل الفكر الإغريق إلى (وحدة) فى الألوهية إنطلاقاً : من
وحدة. (العلة) على الأقل . وهى فكرة فلسفية .

ج- أن يتوصل العقل الإغريق إلى أن : الآلهة البشرية المتعددة : أساطير
باطله وخرافات .

وهذا كله : كان جديراً أن يحقق للعقل الفلسفى الإغريقى (نقطة) كبرى تليق
بقيمة العقل السامية ..

ولكن المؤسف حقاً : أننا وجدنا : الفلسفة الإغريقية فى قمة موضوعاتها .
وفى ازدهار عصرها .. تلتصق ببعض العناصر الخاصة بالعقيدة البدائية الشعبية
الإغريقية وهى : أساطير خرافية من أعلاها إلى أدناها ..

بل : وتتخذ هذه العناصر (الأسطورية) مذهباً فلسفياً لتفسير الكون : تفسيراً
(علياً) فلسفياً ..

ويصرح الدكتور محمد البهى الذى ارتضيناه عارضاً :

بأن الفلسفة الإغريقية قد تأثرت بالأساطير الإغريقية التى حفلت بها : الديانة الشعبية الإغريقية ..

وأن الفلسفة تجد فيها ما تجده فى الأساطير الدينية بفارق واحد هو : ظهور الأسطورة فى (أحضان) الفلسفة بطريقة تختلف عن ظهورها فى أحضان : الديانة الشعبية البدائية .

فبالأسطورة فى الفلسفة : موثاة بمصطلحات الفلاسفة ومشذبة بمنهجهم . ومصقولة بطرقهم . فهى : خفية مستورة .

أما الأسطورة فى الديانة البدائية .. فهى ساذجة فجة عليها أعشاب البرارى .. وهى : ظاهرة معلنة ..

فيقول فى ذلك : [.. إذا عثرنا على عنصر التعدد - يقصد أسطورة تعدد الآلهة الإغريقية - فى الفلسفة الإغريقية : عثرنا عليه فى صورة تغاير ما يكون عليه فى الديانة الشعبية .. عثرنا عليه مصقولاً]..

أو بعبارة أخرى : عثرنا عليه خفياً مستوراً . إذ الفرق بين : فلسفة .. وديانة شعبية . ليس فى ذات العناصر التى تكون فى كل منهما .. بل فى الصورة التى تبدو فيها هذه العناصر . تبعاً للفرق بين العمل العقلى الذى هو أساس الفلسفة . والتصور الخيالى البدائى الذى هو أساس العقيدة الشعبية [(١)] .

المثال :

(١) يتخذ الدكتور محمد البهى من (نظرية الصدور) مثلاً على مدى تأثير الأسطورية البدائية التى وجدت فى الديانة الإغريقية الأسطورية . فيقول :

وأهم هذه العناصر التى تعد طابعاً للديانة البدائية على العموم : عنصر اعتقاد التعدد فى مصادر التأثير فى الكون . وفيما يجرى فيه من أحداث ..

ومعنى ذلك : أنه يعتقد أن المؤثر فى الكون متعدد وليس واحداً هو كثير مختلف . موزع بين قوى الطبيعة . أو قوى أخرى مجردة عن مشخصات الطبيعة .

(١) راجع فى تفصيل ذلك من ص ١٣٣ إلى ص ١٣٨ من كتاب (الجانب الألهى) .

فنسبة التأثير فى أحداث الكون إلى : عقول الأفلاك . كما يراه بعض فلاسفة الإغريق فى الصلة بين عقل القمر وعقل الإنسان .

ينبثنا عن أثر العقيدة الشعبية اليونانية - وهى أساطير - فى الفلسفة الإغريقية .

فالعلة الأولى ليست هى وحدها المؤثرة فى الكون فى نظر الفلاسفة . بل بجانبها قوة أخرى لها التأثير فيه وهى :-

تلك العقول التى تحرك الأفلاك . وهى متعددة مختلفة المنازل والمراتب .

غير أن : العقيدة الشعبية إذا عبرت عن مصادر التأثير هذه بالآلهة .. عبرت عنها الفلسفة بالعقول .

والاختلاف بينهما إذن فى التعبير فقط .. لكنه ينبئ من جهة أخرى فى مجال التطور الفكرى عن : الفرق بين تصور إنسانى بدائى وتفكير منطقى .

(٢) - كما يتخذ الدكتور محمد البهى (النار) التى قال بها (هيرقليطس) فى تفسيره للعالم فى الفلسفة الإغريقية . دليلاً على : تغلغل الأسطورة فى الفلسفة الإغريقية ..

فيقول : وجعل " النار الهيرقليطية " أصلاً للعالم فى الفلسفة الإغريقية . ربما يعتبر أثراً من آثار تقديس " النار " على العموم .. وقد تسرب كثير من رسومها إلى الإغريق عن طريق الاختلاط بين الشرق والغرب القديم . وربما يعد أثراً لما عرف فى القصص الدينى للشعب الإغريقى من أنه كان يؤله (النار) . وعلى كل حال . فالرأى الفلسفى القائل بجعلها أصلاً للعالم ذا صلة وثيقة بتقديسها فى الديانات القديمة .

(٣) كما يتخذ الدكتور محمد البهى من فكرة (العقل) عند المدرسة الإيلية الدليل على أن الأساطير سرت فى الفلسفة الإغريقية .

فيقول : وجعل « العقل الإيليانى » أصلاً للعالم فى الفلسفة أيضاً ربما كان نتيجة لتقديس (النفس) .

وقد كان تقديسها أصلاً لعقيدة التآليه فى الديانات البدائية .

ويحدد الدكتور محمد البهى موقفه من الفلسفة الإغريقية بصورة عامة . فيقول .
[الفلسفة الإغريقية كما تشتمل على عنصر « الوثنية » - الأساطير- فى صورة
مقنعة غير صريحة . وهو : عنصر اعتقاد التعدد فى مصادر التأثير : تشتمل
أيضاً على تضارب خفى مستور أو على عدم انسجام تام بين الفكر والآراء التى
جاءت نتيجة لبحوث فى موضوعات مختلفة . أو كانت جمعاً لاتجاهات فلسفية
متعددة ... (١) .

وهكذا يظهر لنا بصفة عامة كيف تبدو (صورة) الأساطير فى الفلسفة
الإغريقية .

وهذا بفرع علينا : أن نقوم بعمل (تمشيط) سريع لأهم العصور الإغريقية
الفلسفية . حتى نبرز ما فيها من (آثار أسطورية) باختصار ..

ثانياً : عصر ما قبل سقراط والأسطورة :-

ذكر الباحثون الغربيون أن معظم الأساطير الخرافية تسبق كل تاريخ مدون .
وترجع إلى عالم آخر من الدين والفكر والاعتقاد فتمتزج من هنا الأساطير بالعقائد
والأفكار .

ولما كانت الأساطير : مجموعة من الأخبار تتصل بتجارب الإنسانية منذ القدم .
فقد حرص الإنسان على نقلها بالرواية والأشعار غير المدونة عبر الأجيال ..
والأساطير تشكل (عالماً) يوازي عالم الإنسان بالرغم من أن أبطال (الأساطير) .
بلا أبعاد أو ملامح مميزة . أو وجود منظور .

وأهم ما يميز (أبطال) الأسطورة .. أنهم يواجهون القوى الغيبية بتصرفات
خارقة تثير الدهشة والأعجاب .

فبالأسطورة تعتمد على (البطل) ولا تعول على (الحديث) بذاته وإنما (الحدث)
وسيلة ضمنية لكشف جوانب العظمة والحركة فى (البطل) ..

(١) راجع ص ١٣٨ وما قبلها من المرجع السابق .

ولعل هذا هو الذى أفسح المجال لأساطير (الحيوان) أيضاً أن تحتل لها مكاناً بجانب : أساطير الآلهة وأساطير الأبطال .

وقد عرف الإغريق هذه الأساطير . وعرفت عندهم بأسم (فابولات) . Fabula ولكنهم ليسوا أول من عرف (الفابولات) .. فقد سبقهم (الشرق) . ولكن الإغريق [لهم الأولوية فى صنع الأساطير]^(١) .

والأساطير فى انتقالها عبر التاريخ من بقعة إلى أخرى .. كانت تسجل تاريخاً وتحفظ مشاهد تدل الأساطير على أن فيها معنى (سحرياً) : (فالأسطورة هى الصياغة الأولى للتاريخ والجغرافيا والاجتماع)^(٢) .

والأسطورة بذلك : تقوم على تحريف الواقع . ولقد فطن (بوهيمورس) الشاعر اليونانى (القرن الرابع ق.م) إلى (الجوانب التاريخية وقرر أن الأسطورة «عادة» تاريخ متنكر)^(٣) .

وذكرنا لنا أحد الباحثين : أن (نيتشه) الفيلسوف الألمانى المعاصر عندما أراد أن يقيم (الحضارة الإغريقية) نهج فى ذلك التقييم نهجاً يتفق مع وضوح رؤيته للفلسفة الإغريقية .

فيقول : (عندما أراد (نيتشه) أن يسمى الحضارة اليونانية إسماً يعبر عن خصائصها العامة كلها . أعطى لها إسماً : الحضارة أو الروح : الأبولونية نسبة إلى : الآله « أبولو » (١) . الذى يمثل الروح اليونانية من بين جميع الآلهة .. وعارضها بتسمية أخرى هى : « الروح الديونيزوسية » نسبة إلى : الآله « يونيزوس » أو « باخوس » .^(٤)

(١) راجع ص ٩ وما بعدها من كتاب (الحكاية الخرافية) تأليف (فريدريك فون لاين) الألمانية ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم . نشر مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٥ م

(٢) راجع ص ١٣٤ من كتاب (البطل فى الأدب والأساطير) للدكتور شكرى عياد . نشر (المعرفة) سنة ١٩٥٩ .

(٣) راجع ص ٣ من كتاب (هوميروس شاعر الخلود) . د / محمد صقر خفاجة نشر نهضة مصر سنة ١٥٩٦ .

(٤) راجع ص ٣٧ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى) د / عبد الرحمن بدوى . نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٦ م .

الخلاصة .

ومن هنا ندرك أن السمة العامة عند الإغريق هي (الأساطير) وقد عبّر عن ذلك انتقاداً للفلسفة الإغريقية قديماً وحديثاً بصفة عامة . مشيرين إلى ملاحظوه في خلايا الفلسفة الإغريقية من أساطير وخرافات ..

ولعلّ تأثر الفلاسفة والفلسفة بالأساطير هي جعلت الفلسفة الإغريقية تبدو غير متسقة أو منسجمة مع طبيعة العقل العام .

وهذا هو الذي جعل أحد الباحثين وهو يتحدث عن الفلسفة الإغريقية وما تحتويه من تعارض وتفرق للآراء . ونقص الحقائق فيها رغم ثقة الفلاسفة أنها : الحقيقة الكاملة .. أن يقول : ! ولقائل أن يقول بعد ذلك ما من فكرة غريبة أو باطلة إلا وقد صدرت عن فيثسوف .. غير أن هذه العبارة ومثيلاتها لا تحط من قدر الفلاسفة مادام غرضهم السعي وراء الحقيقة . فقد قيل أيضاً : إن تاريخ الفلسفة سجل أخطاء العقل ...^(١)

وهذا يوضح بجلاء مدى تأثر (الفلسفة الإغريقية) بالأسطورة وأن هذا يظهر جلياً لأي ناقد أو باحث في الفلسفة الإغريقية .

ورغم أن هذا يعبر عن غايتنا من هذا (البحث) . فإننا سنحاول إيراد بعض (المجزئيات) . التي توضح بيقين المعنى (الكلّي) .

(١) (راجع ص ١٧) من مقدمة كتاب (دروس في تاريخ الفلسفة) د/ ابراهيم مذكور

الأسطورة عند الفلاسفة

تعتبر الفلسفة الإغريقية مرحلة (ماقبل سقراط) حلقة بين (سقراط) وبين (هوميروس وهزود).

ولذلك : فمن الطبيعي أن تحفل بالكثير من الأفكار الفلسفية التي متحت من الأساطير الإغريقية .. بل من الأساطير الشرقية أيضاً .

باعتبار أن الفلسفة حركة فكرية تصدر عن عقول متأثرة بتاريخ وبيئة .. وآملة في مستقبل (هلامي) ترجوه بتلمس ليس على درجة البصر .. وإنما على (بصيرة) قد تفتح الطريق للأسطورة ..

ونعني بالبصيرة هنا : تلك الروح الإنسانية المشرببة إلى (غد) بدافع ذاتي دون سند من (وحى الله تعالى) ..

ومن هنا : حفلت الفلسفة الإغريقية - قبل سقراط - بالكثير من الشطحات الأسطورية الخصبية . وكأنها تقليد لهزود على استحياء .

ويعترف بهذه الحقيقة أحد المعجبين بالفلسفة الإغريقية إلى درجة التعصب لها^(١) فيقول [إستهلت الفلسفة اليونانية فجر حياتها بالبحث في أصل الكون وطبيعته .

(١) فيقول في إغرق : (وفي قمة سامقة من قمم الصعود الإنساني إرتفع الأغارقة . وناهوا الأمم والشعوب بسخاء عطاتهم وعظم تراثهم ودقة أحاسيسهم وسمو مشاعرهم فقد مروا - الإغريق - في هذا العالم كما يمر الغمام فوق أرض قفر وواد غير ذي زرع . فكانوا كالأمل المشرق في عتمة اليأس . ثم مضوا كالحلم . تاركين وراءهم الحضرة والنضرة والرداء لقوم غراث عطاش .. إن اليونان هم : أساتذة العالم القديم والأوسط والحديث .. [راجع ص ٥٧ وما بعدها من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) د/ محمد عبد الرحمن مرجحيا . نشر عويدات سنة ١٩٨١ بيروت .

وكان ذلك امتداداً طبيعياً لشغف شعراء المأساة الإغريق . الذين كانت لهم شطحات أسطورية خصبة فى تفسير الكون وعلاقته بالآلهة - كما هو الحال عند هزبود مثلاً - لكنها شطحات أسطورية لا تخلو مع ذلك من الإيمان بشئ من القانون الذى يحكم سير الحوادث ويضبط نظام الأشياء .

وأول - هؤلاء - فيلسوف بحث فى أصل الكون وطبيعته وهو : طاليس الملى (المتوفى سنة ٥٤٧ ق.م) (١).

وقد جعل (طاليس) أسطورة (زيوس) عقيدة له .. فجعله فوق الآلهة (٢) .

وإذا كان (طاليس) قد فسر العالم بالماء .. فإنه انطلق من تفسيره هذا إلى رؤية (أسطورية) كانت معاصرة له عند الإغريق .

فإنه عندما ذكر أن (الأرض) قرص متجمد يسبح فوق (البحر) من الماء . وهذه اللجج مترامية الأبعاد . وليس لها (نهاية) ..

وقد نقل (أرسطو) عن (طاليس) أنه قال : (كل الأشياء تنبئ عن آلهة وأن المغناطيس به حياة لأنه يحرك الحديد) (٣) .

كان (طاليس) فى الحقيقة يصدر عن واقع إغريقى فى الأسطورة تحدثت عن أسطورة للآلهة الذين يعيشون فى مكان (ما) فى (البحار) . ويحرك (الماء) لأنه إله (البحر) ..

وقد (خيّل) - والخيال منهج الأسطورة - إلى طاليس أن الأرض قرص متجمد يسبح فوق لبحر مائية ليس لأبعادها نهاية .

(١) راجع ص ٨٦ من المرجع السابق ..

(٢) راجع ص ٨٧ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى).

(٣) راجع ص ١٣ من كتاب (فلاسفة الإغريق) تأليف (ريكس وورنر) ترجمه عبد الحميد حسين

ويرجع أرسطو : أن يكون طاليس قد خلص إلى هذه النتيجة لما رأى أن الحياة تدور مع الماء وجوداً وعدمًا .^(١)

وبشير بعض الباحثين إلى أن الفلسفة الإغريقية في تلك المرحلة الفلسفية . كانت تحوم حول الأساطير . وأنها لم تعرف إلا الميدان الذي علمته من (الأساطير) . وهو (العالم الخارجي) عن الإنسان ..

فيقول [ويلاحظ على هذه الفلسفات جميعاً - الأيونية - أنها كانت متجهة نحو العالم الخارجي : عالم الأرض والسماء وسعة الأفلاك وأما العالم الداخلي مصدر الأخلاق .. وأما (العقل) مصدر المعرفة ومستقرها . فقد كانت الفلسفة اليونانية آنذاك . لا تزال بعيدة عنهما . قاصرة عن النفاذ إليهما واستيعابهما .. فإن البحث في الطبيعة أقرب منلاً]^(٢)

ولكننا نجد الدكتور عوض الله حجازي يقرر في وضوح شيوخ الأسطورة في الفلسفة الأيونية الإغريقية . فيذكر بعد مقارنة بين الإغريق وغيرهم : [أن الفيلسوف اليوناني الأول « طاليس » لم يكن مبتكراً لفكرة جديدة إنفرد بها هو ..

دون أن يكون لهذه ما أثارها في عقله من الأساطير الشرفية القديمة . واستطعت أن « تجزم » بأن الفلسفة الطبيعة اليونانية . لم تكن إلا صورة جديدة لفكرة - أسطورية - شرقية قديمة]^(٣) .

(١) راجع ص ٢٠ من كتاب (قصة الفلسفة الحديثة) د / زكي نجيب محمود - نشر دار

الكتب المصرية سنة ١٩٣٥ .

(٢) راجع ص ٨٨ من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية)

د / محمد عبد الرحمن مرجعا .

(٣) راجع ص ٢٨ من كتاب (في الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية) للدكتور

عوض الله حجازي

ومن (المدرسة الأيونية) كان (هيرقليطس) الذى علمنا أن (ناره) قد أخذت
من أسطورة (الباندورا) .

و (هيرقليطس) صاحب العبارة (الأسطورية) فى تفسير العالم [أنت تنزل
النهر ولا تنزل النهر] . تعبيراً عن قانون (التغير) فى فلسفته .^(١)

(١) راجع ص ٣ من (دروس فى تاريخ الفلسفة) دكتور / إبراهيم مدكور .

الفيثاغورية والاسطورة

يعتبر (فيثاغورس) المؤسس للفيثاغورية الفلسفية وهو شخصية قوية مهمة غامضة ..

ومن الملفت : أن (فيثاغورس) شاع عنه الكثير من (الأساطير) والخرافات .
والتي تناولت سيرته الذاتية .^(١)

فانتحلت له من الأخبار الأسطورية والمعجزات الخرافية الشئ الذى صيرَ
(فيثاغورس) أقرب إلى : أبطال الخيال والأساطير منه إلى : أشخاص
التاريخ .

[وهذه البداية عن (الفيثاغورية) توضح لنا ذبوع الأسطورة عند الإغريق ..
بل وأستعدادهم لتقبلها واختراعها .. كأن الخيال الأسطوري (ملكة) تزوج
قرائنهم. فلأول مرة حول فيثاغورس الفلسفة الى شئ يمكن أن تدعوها (ريدا)
إغريقياً أو طريقاً للحياة]^(٢).

وقد أسس (فيثاغورس) : الجمعية الفيثاغورية . التي كانت تنزع إلى الاتجاه
(الصوفى الغامض)^(٣) وهذا ما جعل الناس يحوكون حولها الأساطير .

وقد اتصلت تلك الطائفة الفيثاغورية بمذهب ينتمى إلى شاعر قديم يدعى
(أورفيوس - ORPHEUS) قيل فيما روى عنه من الأساطير إنه استطاع
أن يحرك الجماد بقوة أشعاره وسحر غنائه فاستمدوا منه كثيراً من الموسيقى
وأصولها .

(١) يقول باحث معاصر : ولقد صار فيثاغورس شخصية أسطورية . راجع ص ٢٤ من كتاب
(فلسفة الإغريق)

(٢) راجع ص ١٩ من كتاب فلسفة الإغريق (ريكس وورنر)

(٣) راجع تفصيل (صوفيه الفيثاغورية) ص ١٣٦ من كتاب (الجانب الإلهى)

كما أخذوا عنه القول بتناسخ الأرواح^(١). من بدن إلى بدن ومن إنسان إلى إنسان أو حيوان^(٢).

وقد أقامت الفيثاغورية فلسفتها على أن : العالم : عدد ونغم . وقد سرت (الأسطورة) في قوام هذه الفلسفة ..

ويكفى لإبراز خلط الفيثاغورية الفلسفة بالأسطورة أن : نوضح موقفا لهم في (الأعداد) . كانوا فيه كوامن أسطورية . فعبدوا الأرقام عبادة حقيقة . لأنهم كانوا يدينون بالديانة (الأورفية) الوثنية الأسطورية .^(٣)

فقد اعتقد الفيثاغوريون أن في رقم (١٠) عشرة - سراً إلهياً غامضاً . وأن هذا الرقم يحتوى على قوى خفية مقدسة .

ويصف أحد الباحثين هذه النزعة الأسطورية عندهم فيقول :

[ويقدمون عدد (١٠) . لأنه مجموع الأرقام الأربعة الأولى : ١+٢+٣+٤ - ويحلفون به - كما يحلف بالآلهة - ويضعونه في صورة (الهرم) هكذا .°.

(١) تناسخ الأرواح أسطورة هندية قديمة باطلة . وكل فكرة أو مذهب أو فلسفة أو عقيدة تدخله أسطورة التناسخ تكون : أسطورية خرافية باطلة .

وقد سرت أسطورة التناسخ عند جميع الفلاسفة الإغريق عدا (أرسطو) .

وقد أجريت دراسة مستفيضة في هذا الشأن في بحثنا للدكتوراه (عقيدة التناسخ وموقف الإسلام منها) والبحث مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة .

(٢) راجع ص ٢٩ وما بعدها من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية) د / أحمد أمين ود / زكى

نجيب محمود

(٣) الأورفية [اتجه في علم الأسطورة الإغريقية ظهر في القرن الثامن ق.م : بعبادة الشاعر

الأسطوري أورفيوس والآله ديموزوس . وكان للأورفية : تأثيرها البالغ على : الفلسفات

الإغريقية . خاصة : الفلسفة المثالية .]

راجع هذا النص في هامش ص ٢٢ من كتاب (فلاسفة الإغريق) .

وهذا إغراق فى - الأسطورة - والوهم (١).

وفيشاغورس . كان مفرقاً فى الأساطير .. فقد أنشأ (الجمعية الفيشاغورية) بداية . لتكون مركزاً لتعاليم العقيدة الأسطورية (الأروفية) .

كما كان (فيشاغورس) يؤمن بأسطورة تعدده الآلهة . وهو الذى قال :
[لست حكيماً . فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة . وما أنا إلا فيلسوف . أي محب للحكمة .. وعنده : أن أزمنة التقمص قد حددها الآلهة] (٢).

ويعترف أحد الباحثين على مضمض بوجود الأسطورة عند الفيشاغورية فيقول :
(إنهم كانوا يربطون الأعداد بمعتقداتهم الدينية . فكان لبعض الأعداد سرّاً خاص . وكانوا فى هذا متأثرين من غير شك بالمذاهب الشرقية) (٣).

وقد يعجب الإنسان من هؤلاء الذين أمضهم الإعجاب بالإغريق ويتطوع للدفاع عن أسطورية فلسفتهم . ويقطع بيقين لست أدرى من أين أتى به ...
إن (التسرب) لا يهمننا .. وإنما دعوانا فى (وجود) الأسطورة فى الفكر الإغريقى .

وترى (الفيشاغورية) الأسطورة (دينياً) وفلسفة . فتقول : [إن الذرات التيراهيية التى نجدها فى أشعة الشمس ليست الا نفوساً إنسانية انفصلت عن أبدانها وعاشت محلقة فى الهواء] .

ويعقب أحد الباحثين على هذه (الأسطورة) فيقول : [إن هذا الرأى الذى قال به الفيشاغوريون . لم يكن رأياً علمياً قالوا به . بل كان معتقداً دينياً . أغلب الظن أنهم أخذوه عن الشرقيين (١) .. كذلك الآراء التى وردت عن الفيشاغوريين فيما يختص بالآلهة .. فهم قد أخذوا إذن بالمعتقدات الشعبية - الأسطورية -] (٤).

ولعلنا : نكون قد ألقينا الضوء على : الجوانب الأسطورية عند (الفيشاغورية) بالذات . التى تدل علينا مدرستها وتفاخر بأنها : فلسفته (التجديد) والرياضيات .

(١) راجع ص ٣٥ من المرجع السابق .

(٢) راجع ص ٥ وما بعدها من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د/ إبراهيم مذكور .

(٣) راجع ص ١٠٨ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى) د/ عبد الرحمن بدوى .

(٤) راجع ص ١٥ من المرجع لسابق .

الأسطورة والإيليون

رغم محاولة (المدرسة الإيلية) مناهضة عقيدة اليونان الأسطورية فإنها لم تستطيع التخلص تماماً من الجانب الأسطوري ..

فقد شاع عند فلاسفتها القول بالدورة الأبدية الأسطورية التي تعد (خرافة) من الأساطير الباطلة .

فقد قال (أكسونوفان) : بخروج اليابس من البحر وأنه سيغوص فى البحر مرة ثانية . وسينمحي البشر . ثم تعود الأرض . فترتفع وسيبدأ الإنسان حياته الأولى . ثم تغوص ثم تعود وهكذا .. وتولد فى عالم (الغيب) شمس جديدة تشرق علينا كل صباح بدلاً من الشمس التي تذهب فى الأفق البعيد إلى غير رجعة .^(١)

ونجد من يقول عنه : [إنه كان فيلسوفاً طبيعياً . ثم أصبح من بعد فيلسوف دين - يقصد دين الإغريق الأسطوري الوثنى - أو صاحب . مذهب ميتافيزيقى لاهوتى . فلم تكن الطبيعياً بالنسبة إليه غير مقدمة للإلهيات]^(٢) .

ويبنى أن لا نفهم من عبارته تلك : أنه يذهب إلى التأمل فى ملكوت السموات والأرض ليصل إلى (الله) ...!..

ولكنه يقصد أن حركة (الطبيعية) تسيروها قوى خفية هي (الآلهة) التي قالت عنها (عقيدة الإغريق الوثنية) .

وقد خرج من المدرسة (الإيلية) الفيلسوف (أميدوقليس) الذي تأثر بفلسفة (فيثاغورس) فصار (الشبه) بينهما شديداً^(٣) .

وهذا يرشح لجوانب (الأسطورة) فى فلسفته . لكننا بجانب هذا نجد له قولاً يوضح مدى تعلقه بالأسطورة .. وكيف لوّن هذا القول فلسفته بالأسطورة .

(١) راجع ص ٤ . بتصرف من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية).

(٢) راجع ص ١١٩ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى) .

(٣) راجع ص ٦٢ من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية)

يقول امبذوقليس : [إسمعوا أولاً عن ماهى الأصول الأربعة لكل الأشياء ..
زيوس Zeus المشرق و : هيرا HERA واهب الحياة . ثم إيدنيوس
AIDONEUS و : نستير NestiR اللذان قطرات دموعهما ينبوع للبشر
لا ينضب .. وقد ولدت كائنات كثيرة بوجوه وصدور تتطلع فى مختلف الاتجاهات.
بعضها نسل (ثيران) لها وجوه البشر بينما غيرها مرة أخرى : ولدت كنسل بشر
لها رؤوس (ثيران) . وكائنات متشاقلة بأيد لا حصر لها ..]
وقبل هذا يقول : [على الطين ظهرت رؤوس كثيرة بلا رقاب ولا أذرع تهيم
عارية بلا أكتاف . وتحركت عيون زائفة أعلى وأسفل تنقصها حياة) (١)
تلك (نماذج) من الصور الأسطورية عند المدرسه (الإيلية) الإغريقية .

(١) راجع ص ٤١ و ص ٤٣ من ك (فلاسفة الإغريق) .

الفصل الرابع

الأسطورة

وشوامخ الفكر الإغريقي

يجمع مؤرخوا الفلسفة أن العصر الزاهى للفلسفة الإغريقية هو تلك الفترة التي جمعت حلقات أعظم الفلاسفة الإغريق على الإطلاق وهم : سقراط . وأفلاطون . وأرسطو . [٤٦٩:٣٢٢ ق.م] فهم بحق (شوامخ) الفلسفة الإغريقية بما قدموه من فلسفات . وما صاغوه من مناهج متسقة .. بغض النظر عن : النتائج التي توصلوا إليها في ميادين لم يدركوا أنها تحتاج إلى منهج آخر .. مثلما فعلوا في (الجانب الألهي) .

وقد كان يكفينا أن نلفت النظر إلى وجود (الأسطورة) عند هؤلاء الشوامخ ليستقيم لنا غايتنا من وجود الأسطورة في الفكر الإغريقي باعتبارهم (حلقة) رائدة في التفلسف الإغريقي ..

ولكننا آثرنا أن نقدم لأسلافهم . لنؤكد أن (الفيلسوف) إنما يمتح من عصره وبيئته . مهما سبق هذا (العصر) . وراود تلك (البيئة) .

وأحب أن أنبه إلى أن (الأسطورة) عند هؤلاء الشوامخ تبدو (مغلقة) في طبقات فلسفاتهم .. وتسبح تحت طبقات فكرهم كما يعج باطن الأرض الصحراوية العطشى بالماء العذب الكثير والذي يحتاج فقط إلى من يحفر له مسلكاً . فيصير (بئراً) ..

ومن هنا فإن (الأسطورة) لن نجدها عند (الفلاسفة) وبخاصة (الشوامخ) . مثلما وجدناها عند (هوميروس وهزود)

وإنما سنجدها (مقنعة) مستورة بعقل (يتشاب) متمطياً يحاول (البقظة) من نوم طويل .

وقد لمسنا بعض (الشذرات) الأسطورية متناثرة في الحلقات الفلسفية على هيئة (امتداد) للوجود الأسطوري .

وقد قصدنا حقيقة من هذا الإبراز أن نبين أن الأسطورة وجودها (مستمر) عند الإغريق .

بل لعل لا أبالغ إذا قلت : إن الأسطورة ظلت (مرافقة) للفلسفة الإغريقية .
لدرجة أنها تسربت منه إلى كل من تأثر فيما بعد بهذه الفلسفات الإغريقية مثل
المسلمين في العصر الوسيط . وأوروبا في العصر الحديث .
وقد اتفق معى فى دعوى تسرب (الأسطورة) الإغريقية من الفلسفة اليونانية
إلى غير الإغريق كثير من الباحثين ^(١) .
ومن هنا : فإن (الأسطورة) كانت (صنواً) للفكر الإغريقى تواكبه وتناكبه ..
بل غالباً ما تروده وتقوده .
وفى بكور (النزعة الفلسفية) منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد زامت
(الأسطورة) الفلسفة الإغريقية .. تمدها .. وتساندها ..
ويذكر بعض الباحثين : أن الأساطير ظلت (مسيطرة) على الفلسفة الإغريقية
منذ ظهورها . بحيث لا يستطيع (الفيلسوف) أن (يميز) بين ما هو (أسطورى)
وبين ما هو « فلسفة » لأنه كان يرى الأسطورة (ديناً) مقدساً .
بل قد يبلغ به الأمر أن تشيع فى نفسه درجة (الثقة) بالأسطورة أكثر من
ثقتة بنتاج عقله .. باعتبار أن الأسطورة : مستندة إلى عقيدته الوثنية التى
يؤمن بها ويعتقد صدقها ..
وبسبب هذه (السيطرة) للأسطورة - كما يرون - قامت الحركة (السوفسطائية)
التى كانت (ثورة) - كما يدعون - على وجود الأسطورة فى الفكر الإغريقى .
فقام (السوفسطائيون) بمحاولة لتخليص (الفكر الإغريقى) من شيوخ الأسطورة .
ولولا (تطرف) المنهج السوفسطائى - كما يقولون - ومهاجمتهم (لبداة)
العقول . لكتب للسوفسطائية النجاح فى مهمتها وهى : القضاء على الأسطورة .
ويقولون فى ذلك : (إن السوفسطائيين هم الذين أيقظوا العقل من سباته
العقائدى - عقيدة الدين الإغريقى الوثنى الأسطورى . وانتصروا لاستقلال
الفرد .. ولئن أثاروا من المشاكل أكثر مما قدموا من الحلول .. فحسبهم فخراً أنهم
أنجبوا «سقراط»

(١) راجع ص ١١٢ من كتاب (أساطير إغريقية) وص ٤٨٩ من كتاب الجانب الألهى وص
١٣٢ من كتاب (فلاسفة الإغريق وص ١٨٧ من كتاب (خريف الفكر اليونانى) .

ولقد أفادت الفلسفة كثيراً من هذه المحاولات جميعاً : طبيعية كانت . أو : إنسانية . تلك المحاولات التي تحررت من أى تصوف دينى كان من المعقول أن نتوقعه من مفكرين كالسوفسطائيين . قد استخدم أسلافهم عبارات أسطورية للتعبير عن أنفسهم . اللهم إلا إذا استثنينا مدرسة « الفيثاغوريين » التي يكتنفها غموض شديد . فهي على الرغم من نزعتها الصوفية ^(١) الواضحة إلا أنها تلح على : فكرة العدد والتناسق . [^(٢)] .

ومثل هذه الآراء ممن يتيهون إعجاباً بالفكر الإغريقى تدلنا بوضوح على مدى وجود (الأسطورة) فى الفلسفة الإغريقية وأن هؤلاء المعجبين بالإغريق . يجدون (الأسطورة) نقطة سوداء فى الثوب الأبيض . فيحاولون محو (عار) الأساطير : بمثل هنل التمثل اللأمهجي .

ولكن هذه (الضمادات) من هؤلاء الباحثين تكفيها فى التدليل على إقرار كل الاتجاهات بوجود الأسطورة فى الفكر الإغريقى . ولا ينبغى أن يفهم من ذلك . أن (غاييتى) : معاداة الفكر الإغريقى بصفة عامة.. فهو خطوات على طريق العقل الإنسانى وقد أفادت البشرية من فلسفته وفكره ..

لكن يؤرقنى : نزعه (الاستعلاء) بالفكر الإغريقى من بعض الدارسين الذين نهلوا منه . وصوروه على أنه (معصوم) عن الخطأ منزّه عن (النقائص) . كما يؤرقنى من الفكر الإغريقى وفلاسفته : الإصرار على أن يكون لهم فلسفة ورأى فى (الجانب الألهى) مع أنه جانب لا يمكن بمناهج الإنسان : الحسية والعقلية.. بل والإشراقية : أن يصل إلى تلمس الحقيقة فيه إلا بطريق (الوحى) من الله تعالى .. بمنهج (النبوات) التي يرسلها الله سبحانه وتعالى للبشرية .

(١) يلاحظ مدى التعصب للفكر الإغريقى . فالبرغم من أنه يعترف بالعلاقة بين الاتجاه فى التصوف الدينى والأسطورى . فإنه يخرج (الفيثاغورية) من ميدان (الأسطورة) مع اعترافه بنزعتها الصوفية .. وهذا تناقض كما أنه اعترف بوجود (الغموض الشديد) حول الفلسفة الفيثاغورية . فكيف أتبع له هذا الإخراج .. مع هذا : الغموض .. ؟ ..

(٢) راجع ص ٩١ من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) د / محمد عبد الرحمن مرحبا .

ومن هنا : كان تحفزي لإلقاء الضوء على الجانب (الأسطوري) فى الفكر الإغريقى.. وأنه تفكير بشرى عرضة للأخطاء والنقائص .
وأنه فى (الجانب الألهى) كله أخطاء .. لتجرده من مناهج (الوحى) وهذه حقائق ثابتة أقر بها كل الدارسين للفلسفة الإغريقية .
ونحن لا نوافق على أن (السوفسطائية) قامت بدورها وقد نجت من (أحبولة) الأساطير فى حلقة متميزة فى سلسلة الإغريق .
فإننى أعتقد أن العقل (السوفسطائى) .. كان (غراساً) لذبوع الأسطورة عند الإغريق .
فقد أصيبت بعض العقول بالاضطراب الفكرى من أثر تصوير (الأسطورة) بصورة (عقلية) . وهذا فى حد ذاته (مأساة عقلية) .
إذ كانت (الأسطورة) من قبل تقدم على أنها (دين) أو (شعر) أو (فن) .
فكان الناس يستقبلونها بمنهج استقبال الأساطير .. وهو : غيبة العقل .
فلما جاء (الفلاسفة) .. حاولوا ايقاظ العقل الإغريقى ولكن بالأسطورة ..
وتم مزج الإسطورة بمناهج العقل وقدمت الأسطورة فى ثوب عقلى . أو قدم العقل فى ثوب أسطورى .
وهنا أحدث هذا (التشويه) للعقل الإنسانى (رداً فعلى) قاهر فى (الحياة العقلية) الإغريقية .
وكانت هنالك الاتجاهات المضطربة . والتي كان منها - فيما أعتقد - (السوفسطائيون) الذين كانوا (ضحايا) تسطير العقل . أو بعبارة أخرى : ضحايا تعقيل الأسطورة ..
ولما كان : العقل والأسطورة .. لا يجتمعان .. كان الانفصال العقلى عند (السوفسطائية) . الذين جعلوا (الإنسان) بذاته (الجزئية) مقياساً لكل الحقائق^(١) . فجعلوا (الجزء) حاكماً على (الكل) .. وتلك - فى نظرى - أخطر الأساطير البشرية .
ولعل هذا الجانب . هو الذى : استنفر (سقراط) لجدالهم فإنه .. كان (يعتقد) :
الأسطورة بشكل لائق .

(١) راجع التفصيل ص ١٦٣ ج ١ من ك (نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام) د / على سامى

الأسطورة وسقراط

(٤٦٩ : ٣٩٩ ق . م)

رأينا كيف أن الفلسفة الإغريقية لم تستطع النجاة من (الأسطورة) وإن ظهر
إنها تحاول (إخفاء) هيكلها الأسطوري .

حتى أننا نجد : [أن كل ما يمكن أن ندعوها المواقف « العلمية »
أو « الفلسفية » تميل إلى الدخول في صراع مع العقيدة الأسطورية التقليدية]^(١) .
ناهيك عن المواقف العقائدية أو (الميتافيزيقية) .

وقد تأثر (سقراط) بالفيثاغورية^(٢) . فكادت أن تصبغ فلسفته . لولا ما وهب
من تميز في شخصه وعصره . وقد [ذكروا أنه من تلاميذ فيثاغورس] .

ويؤكد أحد الباحثين هذه الصلة فيقول : [ونحن نعلم أن النزعة الفيثاغورية
كانت غالبية عليه]^(٣) .

وقد كان عصر (سقراط) من أزهى العصور في (أثينا) . فقد انتصر اليونان
على الفرس .. وعاش الإغريق في ظل الحرية السياسية التي أتاحها (بريكليس)
٤٩٩:٤٢٩ ق.م

وصارت (أثينا) مركزاً لحركة ثقافية وفنية وفلسفية . وماجت بالكثير من
الآراء والأفكار . [فلقد كان من أثينا فنانون يرهفون النفوس بفنهم . وكان فيها
شعراء يمسّون شفاف القلوب بقصصهم وأساطيرهم وكان فيها رجال دين يقيمون
الشعائر والطقوس .. وكان فيها سوفسطائيون يشككون الناس .. وجاء (سقراط)
لينضم إلى هذه (الجوقة) وينسّق العمل معها . فيعزف الجميع قيثارة واحدة

(١) راجع ص ٥٧ من كتاب (فلاسفة الإغريق) تأليف /ريكس وورنر .

(٢) راجع ص ١١ من المرجع السابق .

(٣) راجع ص ١٦٤ ح ١ من كتاب (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) د/ على سامي النشار

نشر دار المعارف سنة ١٩٧٧ م .

(سيحفونية) العبقرية اليونانية [(١)] .

وقد عاصر (سقراط) الشاعر الإغريقي [أريستوفانيس الذى حفلت أعماله بالأساطير الإغريقية . (إذ لم تكن الأحداث المعاصرة لأريستوفانيس - عصر سقراط - أو الأفكار السائدة فى عصره قادرة على أن تبعده كثيراً عن الأساطير .. لذا نجد كوميدياته - مسرحياته - مليئة بالأساطير زاخرة بالإشارات والتلميحات الأسطورية] (٢) .

وهذا يوضح لنا (عصر) سقراط الملى بالأساطير بجميع أنواعها .
فهل تأثر (سقراط) بالجو الأسطوري الأثينى فى عصره ... ؟ ...

المفتاح الأسطوري :

إن البداية لمفتاح شخصية (سقراط) هو دعواه أن الله تعالى يتصل به ...
وكان سقراط يعتقد أنه يحمل فى عنقه أمانة سماوية (٣) .

وظل (سقراط) مشتغلاً بالفلسفة فى (أثينا) : حتى أنهم فى نحو سن
السبعين بإنكار الآلهة والدعوة إلى آلهة جديدة (٤) .

وقد جذب (سقراط) نحو (الأسطورة) . (نبوءة) من كاهنة (معبد دلفى) .

فقد حكى (أفلاطون) عن أستاذه سقراط هذه (النبوءة) وهى تصف (الروحى)

الذى يحس به سقراط :

يقول أفلاطون: [ذهب شريفون : حاجاً إلى معبد دلفى فسأل الكاهنة : هل بين
الرجال من هو أكثر حكمة من سقراط ..؟ .. فأجابت : لا .. قال سقراط : فلما
فى إلى هذا الحديث سألت نفسى ماذا يعنى الإله (٥) . بهذا الجواب ..؟ .. وإلى أين

(١) راجع ص ٩٤ من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) .

(٢) راجع ص ٢٦ من كتاب (أساطير إغريقية) .

(٣) راجع ص ٤٣ من كتاب (فى الفلسفة الإسلامية) د / عوض الله حجازى .

(٤) راجع ص ١٠٦ من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية)

(٥) يلاحظ عقيدة (سقراط) الوثنية الأسطورية فى كاهنة معبد دلفى وأنها هى (الإله)

أو تتحدث بأسم الإله .

شيء يقصد ..؟.. ولم يدر بخاطري قط : أننى بلغت من الحكمة شيئاً . فماذا عساه يعنى حين أجاب بأننى أوسع الناس حكمة - يقصد الآله الذى على لسان كاهنة معبد دلفى - أنه لا يجوز عليه الكذب . فالكذب مستحيل على الله - يلاحظ فلسفة الأسطورة - ولقد لبثت فى هذه الحيرة طويلاً أسائل نفسى عن معنى : مانطق به الإله ..

وأخيراً . وبعد تفكير طويل قمت بالتجربة الآتية : إلتمست رجلاً ممن يتظاهرون بالحكمة . وظننت أنى سأستطيع أن أفند قول الآلهة وأبلغها : أن هذا الرجل قد بلغ من الحكمة ما لم أبلغ رغم قولك : إننى أحكم الناس ..!.. وظل (سقراط) يختبر الحكماء حكيماً حكيماً .. وتأتى النتائج معبرة عن بعدهم عن (الحكمة) .

ثم يقول سقراط : .. (وهكذا التمست مدعى الحكمة واحداً فواحداً . حتى اكملتهم جميعاً وعلمت الحقيقة أسفاً)^(١).

وهكذا نرى كيف تحكمت (أسطورة) عرافة (دلفى) فى (سقراط) حتى ذهب يطبق عليها منهجه فى (التوليد). وزرعت فى قلبه (شعوراً) خفياً (أسطورياً) . سير حياته الخاصة والعامة .

فقد صار « سقراط » أسير (روح) أسطورية تسيطر عليه وتوجهه . وقد أسلم لها قياده. إذ صار (يعتقد أنه مسيرٌ بروحى يملئ عليه ما يقول . ويرسم له طريق المسير . ويطلعه على نتائج الأعمال قبل حدوثها . وهو : إنما يؤدى رسالة فرضتها عليه الآلهة ..^(٢)).

هذا هو (سقراط) الذى تحركه (أسطورة) الانجذاب برؤى خفية إنصياًعاً لأمر (آلهة) الإغريق . إثر كلمة (أسطورية) من نظام الكهانة (الأسطورى) فى معبد (دلفى) الوثنى الأسطورى . فصبغت فلسفته بتلك الصبغة الروحية التى كان لها أكبر الأثر فى الأجيال ..^(٣).

(١) راجع ص ١٠٨ وما بعدها من المرجع السابق .

(٢) راجع ص ١٠٧ من المرجع السابق .

(٣) راجع ص ١٢ من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د إبراهيم مذكور .

وهذا (مدخل) لأحد شوامخ الفللفة الإفرقفة .. بقسر لنا ما لافظناه من
(شذرات) أسطورفة علفه وعلى عصفه ..

وقد ظل- (سقراط) مصراً على : أسطورة (افعدد) الأفهة فف فآخر لفظة من
عمره . فقال وهو ففجرع سم الموت : لا أفن القانون فحول ففنى وففن الأفهة الآن .
فلأصل لهم ولأضرع إلفهم ..^(١)

ونلاحظ هنا : أن (سقراط) فف فف فف عن (الإله) بفصفة الفمع ففقول :
(الأفهة) . وهو فى ذلك : بفصر عن الفففة الإفرقفة الفف كانت فنظر إلى عالم
(الأولب) الإلهى الأسطورى .

وعموماً فقد أورد البافئون أن كلمة (إله) فى اللغة الإفرقفة . معناها
(زفوس) Theos . وظلت فرفمفها على أنها (إله) ..

ولكن : بعض الإفرقففن أمثال : إسففلوس . وأفلاطون فف فف فف كلمة
(Theos) بفمى فف فف عن هذا . وإن كان قرفباً . فإن كلمة THEOS عندهم
فمى : قوة أو فف فف لفوة فى (عالم الأسطورة) . (MYTHLOGY) ^(٢)

وغالباً ما فكون هذه (الفوة) فامضة فففة فف ففها الفموض الأسطورى الفففر
(THE DARK) .

ولعل هذا فقرب لنا : إدراك استعمال لفظ (الإله) عنفما فف فف مفرداً .
أو (الأفهة) عنفما فف فف (فمعاً) فلا فسرع فى إطلاق كلمة (الفوففد)
أو (الموحد) على من فف فف عن (إله) وافد .. عنف الإفرق ..

وأن ففرف فف فف فف فف إلى (وصف) هذا (الإله) الوافد . فبالوصف ..
فظهر عففةفه الموفدة .. أو الوفففه الأسطورفة .

وسقراط : فف فف عن (ألهة) أسطورفة وفففة فف فى أطوار ففاته
الفلسفة .

(١) رافع ص ١١٦ من فف (قصة الفللفة الفوناففة) .

(٢) رافع ص ٢٠ من فف (فلاسفة الإفرق) .

- ٥٨ -

ولقد ابتدأ تفكير سقراط المستقل وتكريس حياته للفلسفة إبتداءً من (سنه ٤٣ ق.م) بوجهة أسطورية يسلم بأسطورتها بعض الباحثين الذين يجدون الأسطورة .

فيقول في تمجيد الأسطورة : [وكثيراً ما تكون الأسطورة أصدق من التاريخ أستغفر الله . بل : دائماً هي أصدق منه . لأنها : حياة تتجدد دماؤها . وروح خصبة تستلهمها العصور المتطاولة باستمرار] (١).

وأحب أن أشير إلى أن الاستدراك بالاستغفار في النص السابق إنما هو من (صلب النص) الذي أورده ذلك الباحث المعجب بفلاسفة الإغريق .

ولعله قد تأثر كثيراً بمباشرة الفلسفة والفلاسفة الإغريق .. حتى (ألف) الأسطورة . فأنس إلى وجودها وصارت تدمه بالجوانب (الأسطورية) في الفلسفة الإغريقية فأحس بفضلها عليه . ونالت (الأسطورة) منه هذا التمجيد الغريب ..

وهذا هو الذي جعله (يتفرد) عن الباحثين .. بذكر أسطورة عن (سقراط) . حاول أكثر الباحثين إغفالها وهي أسطورة (جنى سقراط) .. إعتقاداً منه أن وجود الأسطورة في (حياة) سقراط يعلى سقراط في نظر من يمجذ الأساطير .

فبعد أن يعرض في دراسة مقارنة : كيف أن الفلاسفة الإغريق كانوا يولون (الطبيعة الخارجة) قدراً من فلسفتهم .

يؤكد أن (سقراط) كان على : العكس من فلاسفة عصره .

فيقول : [أما سقراط فعلى العكس من ذلك لم يهتم بالمظهر الخارجى ولا الجمال الحسى أدنى اهتمام . بل انصرف انصرافاً شبه كلى إلى (الباطن) فارتفع بحياته الباطنة ارتفاعاً تاماً . حتى كان كثيراً من الأحيان في شبه ذهول لاستغراقه في تأمل باطنى . ومثل هذا - التأمل الباطن - لم يكن متفقاً مع الروح اليونانية] .

(١) راجع ص ذ من مقدمة كتاب (صيف الفكر اليونانى) د / عبد الرحمن بدوى .

خصوصاً وأن هذه الحالة قد وصلت بسقراط إلى : حالة شبه مرضية . وهو ما اعتاد الناس . أن يسموه (جنى سقراط)^(١) .

أسطورة جنى سقراط :

يؤكد الباحثون أن (أسطورة جنى سقراط) تمثل أهمية كبيرة بالنسبة إلى الاتجاه العام فى فلسفة سقراط ..

فما هى حكاية هذه الأسطورة (الخرافية) التى تحكمت فى سقراط ..؟..

١- يرى خصوم (سقراط) : أن هذه الحالات التى عانى منها (سقراط) كانت : حالات مرضية ..

٢- ولكن تلاميذ (سقراط) لم يرق لهم تفسير الخصوم أعداء سقراط فيما ذهبوا إليه من أنها (حالة مرضية) ..

والذى يهمنا هنا الآن : أن الاختلاف فى تعليل الظاهرة يدل بالتالى على : الإجماع على وجود الظاهرة .. والتى هى هنا (جنى سقراط) .

عرض الأسطورة :

أعطى هذه الأسطورة أهمية كبرى لأول مرة الفيلسوف الألمانى (أشكير ماخر) فى كتابه (مؤلفات أفلاطون) :

فقد قال : إن هذا الذى يذكر عن (سقراط) ليس شيئاً من الجنون .. [وإنما هو : صوت باطن . كان يأتى إلى سقراط فى بعض الأحوال . فينبهه إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه فى المسائل الخطيرة التى تعرض له فى حياته] .

وهو الصوت الأسطورى - كان صوت (نهى) فى أغلب الأحوال أى : لم يكن صوت (أمر) وإذا ظهر مباشرة أنه (أمر) فهو فى الواقع بطريقة غير مباشرة : (نهى) . وهو لا يظهر لسقراط إلا فى الأحوال الخطيرة جداً التى تظهر أمامه .

فقد ظهر له خصوصاً . فيما يتعلق بالدفاع عن نفسه حين محاكمته . إذ أبى القيام بهذا الدفاع بناء على هذا (الوحي) وظهر له مرة ثانية من قبل : حين أراد أن يسلك الطريق الفلسفى . ويتصرف عن الاشتغال بالمسائل العامة .

(١) راجع ص ١٨ من كتاب (صيف الفلاس اليونانى) .

ففى هذه الحالة أيضاً : جاء الوحى .. أو هذا الصوت الذى كان يناديه .
وبلاحظ أن هذا الصوت (الجنى) كان يأتى سقراط بالنسبة إلى : موضوعات
مختلفة .

فكان يأتى إليه تارة : فيما يتصل بمسائل أخلاقية .
وتارة أخرى : فيما يتصل بمسائل عملية ..
ولكن هذا (الجنى) لم يكن يأتى إلى (سقراط) فيما يتصل بالمسائل الفلسفية
الصرفة (١).

لأن هذا الهاتف (الجنى) كان مصدره : شعوراً غامضاً أقرب ما يكون إلى :
اللاشعور .
وإذا كان هذا شأنه : فلا يمكن أن يكون أساساً للمعرفة الفلسفية عند :
سقراط (١) ..

ويمكن القول بوجه عام : إن هذا الهاتف (الجنى) الأسطورى كان يأتى على
صورة شعور عام لا يستطيع التعبير عنه. ولكنه قوى مُلح مع ذلك . يغمر نفسه .
وحين لا يجد - سقراط - البراهين العقلية الواضحة كان يقول : إن هذا الذى
يسير عليه أو يأمر أتباعه به . إنما هو صادر عن (هاتف) أو (وحى) أوحى به
إليه (١).

وهكذا يظهر لنا : كيف أن (سقراط) قد ربط نفسه بأسطورة معبد (دلفى)
فصيرت حياته ولونت فلسفته .

ثم ها هو يدعى جانباً أسطورياً خطيراً يناسب بيئته الأسطورية .. وهو
(الهاتف) الجنى الذى يحدثه حديثاً «مباشراً» ويأتيه أكثر من مرة .

ولعلنا : نلمس هنا عند (سقراط) أن (الأسطورة) تنبع من (داخله) . وأنه
صانعها ومروجها بل : ويحاول أن يفلسفها .

بينما (الأسطورة) عند غيره من (الإغريق) تقتحم عليهم (دوائر) فلسفاتهم
من (خارج) . وكأنها (مفروضة) عليهم ولا يستطيعون منها (فكاكاً) .

(١) راجع ص ١٨ وما بعدها من كتاب (صيف الفكر اليونانى) د/ عبد الرحمن بدوى .

ولعل فى بيان هذا الفرق عن (الأسطورة) عند سقراط وعند غيره .. يوضح لنا مدى (تغلغل) سقراط فى (الأسطورة) لأمدى تغلغل (الأسطورة) فى سقراط .. وإن صح ذلك أيضاً.

ألجنّ السقراطى والضمير :

وقد حاول بعد الذين استنكروا من (سقراط) أن (يصنع) الأسطورة أن يجدوا (تفسيراً) لأسطورة (جنّ سقراط) ففسروه بأنه (الضمير) .

وهذا تفسير خاطئ بجانب الحقيقة . بل ولم يدر بخلد (سقراط) نفسه إذ كان لكل إنسان (إغريقى) ضميره الخاص به .. فلو كان (الضمير) لما كان فى الأمر عجب أو تميّز ..

ولكن المشكلة هنا (أسطورية) رشح لفهم (جن سقراط) أسطورة كاهنة معبد دلفى .. التى وجهته لاختراع هذا (الجن) المزعوم الأسطورى .

وعموماً : فإن فكرة (الضمير) كما يصورها أصحابها ^(١) . تفارق أسطورة (جنى سقراط) . للآتى :

أ- يدعى (سقراط) أن (الجن) كان يهتف به بخصوص الأعمال المستقبلية (علم الغيب) ويخبره عن الأشياء التى (ستحدث) فى المستقبل ..

ب- أما (الضمير) . فدوماً يتصل بالأشياء (الماضية) يحاسب صاحبه عليها فى: إطار معيار ذاتى ..

ج- يدعى (سقراط) أن (الجن) كان يهتف به موضعاً له (النتائج) التى ستنتج عن العمل الذى سيقدم عليه .

د- أما (الضمير) عند أصحابه . فلا يستطيع (توضيح) النتائج وإنما فقط (يحكم) عليها بالخير والشر .

(١) لنا موقف من فكرة الضمير . خاصة ذلك الضمير الذى ورد إلينا مع : تيار الفلسفة الحديثة فإن الإسلام لا يتر بمثل هذا النوع من الضمير الحاكم الوجه العازل لتوجيهات الوعى الخارجية .

وللأسف فإن هذا (الهاتف) الجنى . لم يقل مرة لسقراط عن فعل فعله : إن هذه النتيجة : حسنة أو سيئة ..!..

وإنما كان متخصصاً فى دائرة المستقبل (علم الغيب) .

وعندئذ : نستطيع أن نصف هذا الهاتف السقراطى : بأنه (كهانة) أسطورية من نوع جديد يناسب عقلية سقراط .

وهذا الهاتف الذى يمثل (الكهانة الفلسفية الأسطورية) إن صح هذا التعبير .. كان يمثل فى (أثينا) الإغريقية . رغم شيوع الأسطورة فى حاضرها وماضيها . روحاً غريبة نافرة بالنسبة إلى : الروح اليونانية الحقيقية ..

فقد ألقوا الأسطورة عن (أولمب). أو مقبلة من سحيق موروثات (التراث) الإغريقى .

ولكن الإغريق وهم : أهل العقائد الشعبية البدائية التى قامت على الأساطير.. لم يرتاحوا لهذا النوع الأسطورى الحديث . الذى بصوره (سقراط) .. بل ولم يتقبلوه .. لأن مصدر هذا (الجنى) الأسطورى هو : الروح الباطنية الخصبية التى كانت تسيطر على (سقراط) ..

وهذا (الجن السقراطى) يدل على مدى العلاقة الوثيقة بين (سقراط) وبين «عالم الأساطير» الملى بالأشباح والرؤى . وإن دعوى الاتصال بهذا العالم الأسطورى هو أكثر الدعاوى الدالة على تعلق صاحبها بالأسطورة وماتوجهه من (خرافة) عن (عالم الجن) الذى يتصل بالبشر ويخاطبه ويكشف له (الغيب) .

والحقيقة : أن دعوى معرفة (الغيب) خرافة أسطورية وهى وحدها كافية فى (وصم) القائل بها بأشد أنواع (الأساطير) إيغلاً فى الخرافة .

وقد طغى (الباطن) الأسطورى عند (سقراط) على الخارج العقلى أو العقائدى الشعبى . فافترق بذلك (سقراط) وابتعد عن : الروح اليونانية .

والحق يجعلنا نقول : إن (سقراط) رغم الجانب الأسطورى الذى لاحظناه .. أسهم فى (محاورة) السوفسطائية بقوة . واستحدث لهم : منهج : التوليد .

ولذلك : فإن لسقراط . الفضل فى الكثير فى الآثار العقلية التى برزت فى

ميدان الفلسفة الإغريقية . خاصة فى الجانب الأخلاقى .. كما أنه أبرز فكرة
(الغائية) فى فلسفته الطبيعية ..

ولكن (سقراط) فى : الجانب الألهى : لفته الأساطير . وحكمته الخرافة .
وساهم فى تأكيد الأسطورة ولعه بالتميز عن أقران عصره من الفلاسفة .. فقد
أراد أن يتفرد بأسطورة (علم الغيب) ..

وفى ذلك يقول الباحثون: [وإن آراء - سقراط - فى الألهيات لا تكاد
تتعدى : التصورات الشعبية للدين الإغريقى - الأسطورى - ممزوجة بالتقوى التى
كان مصدرها خصيب الحياة الروحية عند سقراط]..^(١).

وسقراط هو الذى حاول بيان كيفية (التوصل إلى كنه طبيعة الكائنات المقدسة
الأسطورية عن طريق تحليل الأسماء)^(٢)
وهذا الحكم يعطينا : أن (سقراط) تردى فى الجانب الألهى فى أساطير العقيدة
الشعبية الإغريقية .

ولا يعنينا فى كثير : تلمس (العلّة) فى البواعث التى وجهت سقراط إلى مثل
هذه (الدعاوى) الأسطورية .

(١) راجع ص ٤٣ من كتاب (صيف الفكر اليونانى)

(٢) راجع ص ٤٢ من كتاب (أساطير إغريقية) .

الاستطورة وأفلاطون

(٤٢٧:٣٤٧ ق.م)

في بداية عام ٤٧٩ ق.م ، إنتصر الإغريق على بحرية (داريوس) وحققوا بذلك استقلالاً ذاتياً وضعوه (أساساً لأسطورة بطولية كانت بمثابة إلهام للإنجازات الضخمة التي تمت في السنوات التي أعقبت ذلك . وأثينا .. بلغت قمة ذلك الانجاز مما استحق أن توصف بأنها حملت : مجد البشرية الخالد .)^(١).

ودخلت أثينا . في حرب مع (اسبرطة) في الوقت الذي ولد فيه (أفلاطون).. إذ احتلت أثينا سنة ٤٠٤ ق.م.

وكان لمعاصرة (أفلاطون) للاحتلال ونشأته في هذا الجو النفسي ورؤيته لإعدام (سقراط) سنة ٣٩٩ ق.م . الأثر العميق في النزوع نحو دراسة (الفلسفة) . وهجره للسياسة التي أهلتها لها أسرته (الارستقراطية) .

وقد تتلمذ أفلاطون لسقراط منذ صباه .. وأخذ عنه الكثير من الأفكار التي أثرت فيه وفي فلسفته .

وبعد (سقراط) قام بعدة رحلات بالشرق والغرب . وزار (مصر) وقابل أساتذة جامعة (عين شمس) القديمة . وفي (إيطاليا) تعرف على (الفيثاغورية) . وأخذ عنهم كل تعاليمهم^(٢)

وقد لوحظت (الفيثاغورية) مناسبة في خلايا فلسفة أفلاطون^(٣) إذ وجد أستاذه (سقراط) يحفل بالفيثاغورية^(٤) [ومالاريب فيه أنه كان لمبادئ الفيثاغورية تأثير على أفلاطون .]^(٥)

(١) راجع ص ٧٨ من ك (فلاسفة الإغريق) .

(٢) راجع ص ٥٠ من (في الفلسفة الاسلامية) د/ عوض الله حجازي.

(٣) راجع ص ١٣٧ من ك (قصة الفلسفة اليونانية)

(٤) راجع ص ٧٥ من ك (أفلاطون) د/ عبد الرحمن بدوي.

(٥) راجع ص ١٩ من ك (فلاسفة الإغريق) .

وأنشأ (أفلاطون) الأكاديمية . وظل يعلم بها زهاء أربعين عاماً وظلت مزدهرة حتى أغلقها الامبراطور(جوستينيان) سنة ٥٢٩ م .
وقد صاغ (أفلاطون) كتبه في أسلوب (الحوار)إلا القليل . وقد اتخذ (سقراط)بطلا لمحاوراته . عدا معاورة (النواميس) .
وقد اختار (أفلاطون) منهج (الحوار) إنطلاقاً من فلسفته والتي حدد فيها الجانب المعرفي على أنه (التذكر).
فعنده : أن المعرفة (كامنة) في النفس البشرية وتحتاج إلى من يستخرجها من الإنسان .. وليس ثمة طريق سوى (الحوار) ...

علاقة المحاورات بالأسطورة:

وقد حفلت (محاورات) أفلاطون بالتاريخ والفن في أسلوبه الأخاذ الذي كان يعول (أفلاطون) عليه في الحوار وكثيراً ما كان [يلجأ إلى التصوير الخيالي غير المنطقي] (١)

وعدا ذلك : فلا يعنيه أن تأتي (المحاورة) مجافية للعقل أو الوقائع التاريخية (فأفلاطون لا ينتقل لنا في (المحاورات) الأحاديث التي كانت تدور بين : المتحاورين نقلاً أميناً.

كما أنه كان لا يهتم بتنسيقها وربط الأفكار فيها ربطاً محكماً يجعل منها وحدة (منطقية) متماسكة ..

فقلماً نجد في (المحاورات) : إنسجاماً في الأفكار . أو تسلسلاً في الرأي . وكثيراً : ماتنتقل (المحاورات) من موضوع إلى آخر . إنتقالاً قديدخل السأم في نفس القارئ .

والمحاورات : لاتخلو أيضاً من الإشارات التي يناقض بعضها بعضاً . بل هناك : أخطاء تاريخية في كثير من المحاورات .

ففي (أفلاطون) : يلتقى الفيلسوف والشاعر والكاتب القصصي المسرحي والكوميدي في حيز واحد . . .

إن (أفلاطون) يمزج الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن بالأسطورة مزجاً يُسکر .. وفيه : عذوبة ولذة .. فالفن يسيطر عند أفلاطون على : المنطق والحياة متقدمة على المنهج

ماذا أقول ... ؟ ..

حتى (الأسطورة) تشغل مكاناً هاماً في (المحاورات) فهي سمة بارزة من سمات تفكير أفلاطون . إذ هو لايعني ببسط المذهب بقدر عنايته ببعث الشعور بالحياة ويخلق جو ملائم يسمو فيه الخيال الشعري. الأسطوري - ...

(١) راجع ص ١١٠ من ك (أفلاطون) د/ عبد الرحمن بدوي .

ولن نفهم فلسفة أفلاطون الإعلى هذا الأساس .. [١] (١)
وقد عرضت هذا النص بسطوره ، لأدلل على بروز الاسطورة عند أفلاطون ..
حتى أن المعجبين بفلسفة الاغريق لم يستطيعوا إغفال هذا الجانب .
ونجده هنا : يجعل التناول (الأسطوري) مفتاح فلسفة أفلاطون . الذي يقول
عنه) إن أفلاطون هو الفلسفة اليونانية كلها . إذ تلتقى فيه عناصرها .. فنحن
نجد لديه: العنصر العقلي والعنصر العلمى والرياضى.. العنصر الدينى الإلهي ..
وأخيراً : العنصر الأسطوري ..
وقد زواج أفلاطون بين هذه العناصر جميعاً . وجددها تجديداً عظيماً رائعاً
وأضفى عليها من أصالته وعبقريته الساحقة ما جعل منها فلسفة تطاول الزمن
وتتازع الخلود . [١] .. (١)

أسطورة التناسخ بفلسفته :

نوهنا إلى أن الاغريق (أغرقوا) فى أسطوره (تناسخ الارواح)
ونؤكد هنا : أن (أفلاطون) قد أقام فلسفته على دعامتين :
أ - نظرية «المعرفة» . (ب) نظرية «المثل» .
وهاتان الدعامتان : قامتا على أسطوره (التناسخ) .. فسرت (الاسطورة) من
التناسخ إلى : فلسفة أفلاطون ..
ففى المعرفة : الروح عند أفلاطون (قديمة) هبطت لتحل فى جسد إثر كدورة
..وبالموت تتناسخ فى جسد آخر ..
وهي لاتعرف جديداً . وإنما هي (تتذكر) فقط ..
أما نظرية المثل:فهي عالم أسطوري لاوجود له فى الحقيقة ولافى الفلسفة

(١) راجع ص٥٩ ومابعدها من ك (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) د /محمد
عبد الرحمن مرحبا .

(٢) راجع ص١١٧ من المرجع السابق .

وإنما هو موجود ذهني . شأنه شأن أي وجود (أسطوري) . أو (خرافي) ..
يقول أفلاطون في محاوره (طيماسوس): [إن النفوس جميعاً كانت في الأصل
ذكوراً . لكنها تتدهور خلال التناسخ حسب الحياة التي تحياها على هذه الأرض.
فإن ابتعدت عن التمسك بالعقل. ولدت في جسم امرأة ثم في جسم حيوان ..
ولاتزال تنتقل من حيوان آخر . حتى تطهر من أدناسها . وتعود إلى الكواكب
التي صدرت عنه .

وهذه النفس الإنسانية - المتناسخة- هي : مقر المثل ومصدر المعرفة .. [.
وفي محاوره (الجمهورية) يدلل (أفلاطون) على : الثواب والعقاب للنفوس
إثر محاكمتها بعد الموت بدليل أسطوري :

إذ يسوق أفلاطون (أسطورة إر بن أرمنيوس البامفيلي) (Er Le Pamphylien)^(١)
وتحكي هذه الأسطورة أن (إر) عاد إلى هذه الحياة الدنيا مرة ثانية بعدما
أدركه الموت فحدث الناس بما شاهدته في الحياة الآخوية من : ثواب عادل للأخيار
ومن عقاب قاس للأشرار [وكيف يعيش أورفيوس . وثاموراي . وإياس .
وأجامنون . وأودوسيوس . وغيرهم ..]^(٢)

ويصف الباحثون (أفلاطون) بتحكم (المثولوجيا) في فلسفته الإلهية إذ عندما
سئل عن : علاقة (مثال المثل) [الأفلاطوني بالإله الأعلى .. ؟
لم يستطع أفلاطون أن يرد رداً يستقيم مع العقل ..

وفي هذا يقول أحد الباحثين : [وهنا نجد أفلاطون يتعثر في إجاباته فلا تتضح
فكرته : اتضحاً تاماً ، لأنه يستعمل في الجواب طريقة مثولوجية]^(٣)
والمثولوجيا : هي الأسطورة .

(١) راجع تفصيل الأسطورة في (محاوره الجمهورية) لوحة ٦١٧/٦١٨ من ك (جمهورية
أفلاطون) ص ٣٨٧ ترجمه الدكتور فؤاد زكريا نشر دار الكاتب العربي للطباعة .
(٢) راجع ٣٢ من ك (أساطير إغريقية) .
(٣) راجع ص ٦٣ من ك (في الفلسفة الإسلامية) د/ عوض الله حجازي .

أسطورة أفلاطون الإلهي

وقد عرف (أفلاطون) عند بعض أصحاب المقالات بأنه . أفلاطون الإلهي) وقيل عنه بسبب هذا الوصف إنه (موحد)^(١)

ولم يدر (أصحاب المقالات) أنه وصف (بالإلهي) لعلته (أسطورية) تباعد بينه وبين (التوحيد) ..

فقد ولد أفلاطون . وأشباح (أسطورة مولده) تطارده . وتوَجَّح فيه التعلق بعالم الأساطير الخرافي

فقد تفتحت عيننا أفلاطون وكل من حوله يحاول: [أن ينسبوه إلى الآلهة . وهم من أجل هذا يقولون : إنه ولد (أرسطون) . وأرسطون هذا . يرجع في ختام الأصلاب إلى : الإله « بوزيتون» إله البحر)^(٢)

وهكذا رأينا أن الجوانب الأسطورية كانت تهدد (مهد) أفلاطون منذ طفولته . وأن وصفة بالإلهي هو تأكيد نسبته الأسطورية إلى (جده) إله البحر الاسطوري .. فالإلهي هنا : وصف أسطوري . لا وصف : توحيد .

الأسطورة وفلسفة أفلاطون :

يؤكد الكثير من الباحثين على : أن الفلسفة الإغريقية تعج بالأساطير .. خاصة : فلسفة أفلاطون . .

يقول أحد الباحثين : [إذا اتجهنا الى الفلسفة . فسوف نجد أنفسنا في مجال شاسع . وطريق متعرج . ملئ بالمتاهات . وذاخر بالأفكار والتأملات .. لكن : مهمتنا هنا : تجعلنا نعبر بسرعة فائقة ذلك المجال الفلسفي - لأنه يبحث في الأسطورة عند الشعراء - وبالرغم من ذلك نجد أنفسنا في نفس الوقت مضطرين إلى : وقفة قصيرة عند مؤلفات واحد من أشهر المفكرين الأغريق . والذي يعتبر واحداً من أعظم رواد الفكر في الشرق والمغرب وهو : أفلاطون ...]

(١) راجع ص ٩٤ ج ٢ من ك (الملل والنحل) للشهرستاني .

(٢) راجع ص ٧١ من ك (أفلاطون) د / عبد الرحمن بدوي .

وهكذا لا يستطيع الباحثون أن يفضوا البصر عن (الأسطورة) عند أفلاطون .
لأنها (تعلن) عن وجودها الأسطوري بين ثنايا فلسفته .

وبعد أن يعدد الباحثون : تعدد الجوانب الفلسفية التي اشتهر بها (أفلاطون)
وأنه لم يترك (فرعاً) من فروع المعرفة دون أن يتعرض له . يصفونه (بالأسطورة).
وبسبب ذلك جاءت (محاوير) أفلاطون مشحونة بالأساطير ويقول بعد ذلك
الباحثون: [وبالطبع لم تخل هذه الموسوعة - الأفلاطونية - من الأساطير
الإغريقية .

فقد ضمن (أفلاطون) عدداً ضخماً من الأساطير الإغريقية في محاوراته
الشهيرة .

فمثلاً: يلتقي سقراط - وهو لسان المحاورات عند أفلاطون- و(فايد روس).
فيروى الأول - سقراط . لمحدثه : [أسطوره الجنادب].^(١) والتي تقول :

عندما وجدت «الموسيات» وظهر (الشعر) لأول مرة . واستولى حُبّ الشعر
على بعض أفراد البشر. فظلوا يغنون . وينشدون طول الوقت . غير عابئين
بالجوع أو العطش .. حتى ذبل عودهم . فماتوا ...

وعندئذ :حولتهم (الموسيات) من بشر إلى (جنادب) . ومنذ ذلك الحين أصبح
الجنادب يقضى حياته مغنياً . لا يشعر بالجوع أو العطش .

وعندما يموت أحد (الجنادب) فإنه يذهب إلى (الموسيات) في السماء ويخبرهن
بأسماء من (يبجلوهن) على وجه الارض

وفي محاورة أخرى - محاورة بروتاجوراس- يستشهد أفلاطون بإحدى أساطير
الخلق الإغريقية .: كيف طلب «زيوس» كبير الآلهة من (بروميثيوس) وأخيه
(أبيميثيوس) أن : يخلقا البشر على وجه الارض . وأن يمنحاهم: صفات بشرية
مناسبة

ثم يشير أفلاطون إلى نفس الأسطورة في محاورة (جورجياس) ويزيد : كيف

(١)الجنادب : جمع [جنذب] وهونوع من الحشرات . يشبه (الجراد) ، ويسكن المزارع الخضراء .

أن الموتى يحاسبون وهم يرتدون ملابسهم بينما كان القضاة الذين يحاسبونهم أيضاً يرتدون ملابسهم .

ثم يشرح - أفلاطون في الأسطورة- كيف جعل (زيوس) بناء على طلب من إله العالم السفلي (بلوتو) : الموتى والقضاة يتجردون من ملابسهم أثناء الحساب. وكيف عين (زيوس) ثلاثة من أبنائه : قضاة يحاسبون الموتى وهم: مينوس. وراذ أمانثوس من آسيا . وأياكوس من أوربا^(١)

(وجمهورية أفلاطون) بجانب ما تمثله في جانب (اليوتوبيا) . والمدن الفاضلة فإنها تعتبر (سجلاً) يحفل بالأساطير الاغريقية والتي اعتمدها أفلاطون في بناء هيكل فلسفته .

١- أسطورة موزايوس^(٢). وابنه اللذان يجزلان العطاء على (العادلين) .^(٣)

٢ - أسطورة (خروسيس) كاهن الإله (أبولو) .. التي يوردها (أفلاطون) ويعقب عليها بقوله : [إن الشعر والأساطير قد يكونان في بعض الأحيان للمحاكاة فقط وقد يكونان (سرداً) يرويه الشاعر .. وقد يكونان (مزيجاً) من السرد والمحاكاة وهو الذي يتمثل في (الملاحم) .]^(٤)

٣ - أسطورة الكهف :

وتتحدث عن رجال تحت الارض ويسكنون (كهفا) .. تطل فتحته على النور . مقيدين بالأغلال في الظلمة ..

وهذه الأسطورة عنده: توضح الدرجات التي تكون عليها طبيعة الإنسان^(٥) .

(١) راجع ص ٣١ وما بعدها من ك (أساطير إغريقية) .

(٢) (موزايوس) وابنه (يومولس) . شخصيتان أسطورتان نسبت اليهما أشعار تعرض فيها (الديانة الأوروبية) .

(٣) راجع ص ٤٨ من ك [جمهورية أفلاطون] .

(٤) راجع ص ٨٧ من المرجع السابق.

(٥) راجع ص ٢٤٦ لوجه رقم ٥١٤ من (جمهورية أفلاطون) .

٤ - أسطورة صورة النفس : وفيها يورد أفلاطون أن النفس الانسانية مشابهة لتلك المخلوقات الأسطورية الشوهاء التي جاءت في أساطير الأولين مثل: (خيميرا) أو (سولا) و(سريبورس) . وهي المخلوقات التي قيل إنها : كانت تجمع في جسم واحد أشكالاً متعددة .

والخيميرا(Chimera) . كائن أسطوري ينفث النار . وتجمع جسمه بين : صورة الأسد والأفعى والماعز .

والسولا(Scylla) عند هوميروس . وحش بحري ينبح كالكلب له : إثنا عشر قدماً . وست رقاب على كل منها رأس قبيحة ، بها ثلاث صفوف من الأسنان الحادة .

والسيريبورس(Cerdbrus) كلب ذو ثلاث رؤوس له شعر ثعبان . ويقف حارساً على العالم الأدنى (الارض) .

ويقول أفلاطون: [يقال فعلاً إنه كانت هناك كائنات كهذه ..]^(١)

ونجد من الباحثين من يصف(أفلاطون) بأنه وفلسفته الأسطورية قد أمدت المذاهب الباطلة بعناصر أسطورية . [وأثرت نظرياته في الوجود وفي المثل ونظريته في (الكهف) - كلها أساطير لانظريات بالمنهج العلمي- أكبر تأثير في آراء الصوفية - الحلوية - ..وكان أفلاطون في الحقيقة:يونانياً خالصاً . ووثنياً كبيراً.]^(٢)

ومعلوم أن(الوثنية) إنما تقوم على . الأساطير) الخرافية فكل (وثني) يكون: أسطوري الفكر والعقيدة .

وهذا منهج للحكم : يصلح لكل زمان ومكان .

وقد أجمع الباحثون على أن ماكتبه (أفلاطون) في محيط فلسفته كان مضمخاً بالأساطير الخيالية ..بل.ولم يكن(أفلاطون) في كثير من الأحيان يحاول ستر هذه النزعة الأسطورية في فلسفته .. بل نجده . يستدل كثيراً ..ويقتبس من

(١) راجع ص٣٥٣ لوحة ٥٨٧ من ك (جمهورية أفلاطون) .

(٢) المرجع ص١٦٦ ج ١ من ص(نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) د/ على سامي النشار .

الأساطير ما يؤكد أو يشرح أو يقيم أو يدعم عليها فكرته أو فلسفته . ونظرة واحدة إلى (محاورات) أفلاطون ، تخرجنا بقناعة تؤكد : أن الاسطورة الفلسفية : أفلاطونية الوجود والنزعة .

ويؤكد أحد الباحثين هذه النزعة عند أفلاطون . فيصفه بقوله: [وأظهر شئ في أسلوب أفلاطون أنه: أسلوب خيالي - أسطوري فهو لا يشرح فكرته بوضوح وبطريقة علمية مباشرة . ولكنه يشرحه عن طريق : الاستعارات والأساطير والقصص، وهي طريقه جميلة . ولكنها مربكة .. فكثيراً ما يتردد الباحث : هل هو يريد المعنى الحقيقي لكلامه..؟ .. أم أنه يرمي إلى معنى آخر ...

وقد جاء هذا لأفلاطون من قِبَلِ أنه : فيلسوف شاعر. واجتماع الفلسفة. والشاعرية خطر..] (١)

وقد أورد أحد الباحثين أن هذه (الخطورة) قد أوقعت (أفلاطون) في شئ من التعارض فقد تشكك أفلاطون في قيمة (الفنطاسيا) : المخيلة .. لأنها عنده : مصدر الوهم .. [ولكنه ما لبث أن عاد في محاورة (طيمائوس) . Timaeus. إلى أن اعترف للخيال بالقدرة على استحضار الرؤية الصوفية(١) . تلك التي تسمو على ما يتناوله مجرد العقل .] (٢)

ومكانة (الخيال) عند (أفلاطون) إنما ترتبت في فلسفته إنطلاقاً من شعوره بسيطرة قوى (الأسطورة) .. واستعداده للرؤية الصوفية التي لا تعتمد على : العقل أو المنطق وإنما هي : (عرفان) أسطوري يمتح من الجوانب الاسطورية المموهة بالغموض الخيالي .

وينقد الباحثون فلسفة أفلاطون التي وصلت على هذا النحو الأسطوري في صورة (نظريات) فيقول: [إن المثلُ لا تفسر نفسها بنفسها.. فلم تثبت إذن فلسفة أفلاطون أمام هذا الاختبار: فلاهي فسرت لنا العالم . ولاهي فسرت لنا نفسها . فكان على تلميذه (أرسطو) أن يقوم هذا الاعوجاج ويصلح هذا الخطأ الذي وقع

(١) راجع ص ١٤٣ وما بعدها من ك (قصة الفلسفة اليونانية) .

(٢) راجع ص ١١ من ك (الخيال). (مفهوماته ووظائفه) للدكتور/عاطف جوده نصر نشر هيئة الكتاب سنة ١٩٨٤ .

فيه أستاذه أفلاطون... (١)

فقد سرى (الخطأ) المنهجي في فلسفة (أفلاطون) بسبب اعتماده على (الأساطير) وغيرها..

فقد ظهر في مؤلفات أفلاطون [الأسلوب الرمزي والصور الخيالية . فكثيراً ما يلجأ في عرض أفكاره إلى: الرمز والقصة الأسطورية . لكي يصور بالرمز ما لا ينال بالبرهان . ولكي يصور الغيبيات على وجه الاحتمال ..] (٢)

وكان (أفلاطون) يحفل بالأساطير وبغيرها ويشرحها بما يؤكد فيها الجانب الأسطوري ..

فيعد أن عرض أفلاطون أسطورة [تانتالوس] الذي يعيش في (الخلود) منذ بدء الخليقة وإلى اليوم .. ولكن معيشته محفوفة بالعذاب لأنه : ظمآن والماء من حوله زلال . جوعان والطعام بين يديه ناضج . خائف والأمان مكفول له .. تداعب الشمار الحلوة عينيه ولا يتمكن من أن يذوقها . تميل الصخرة الضخمة فوق رأسه ولا تصيبه بسوء . وما زال [تانتالوس] يعيش على الأمل ..

إنه واحد من : المعذبين في الأرض .. ومن السعداء الذين يعيشون على الأمل المخادع .. (٣)

وقد اشتهرت أسطورة (تانتالوس) . حتى أصبحت تبريراً لنشأة عقيدة هامة من عقائد الإغريق وهي [توارث اللعنة] (٤)

وقد شرح (الفلاسفة الطبيعيون) هذه الأسطورة من وجهة نظرهم التي تعتقد : أن كل الأساطير الإغريقية تنتمي إلى (الشمس) .

وعوداً لأفلاطون الذي يعقب على (أسطورة تانتالوس) فيقول شارحاً: [إن الاسم تانتالوس . مشتق من صفة مبالغة التفضيل ، وهي كلمة إغريقية - بمعنى « الأتعس » . والإسم وما اشتق منه بمعنى (التحمل) أو (المعاناة) .] (٥)

(١) راجع ص ٢١١ من ك (قصة الفلسفة اليونانية) .

(٢) تراجع ص ٢٣٧ من ك (دراسات في الفلسفة) د/صلاح عبد العليم نشر مطبعة مدني . سنة ١٩٨١ القاهرة .

(٣) راجع الأسطورة بالتفصيل ص ١١٣ الي ص ١٢٤ من ك (أساطير إغريقية) .

(٤) وفكره (توارث اللعنة) في حد ذاتها (أسطورة) .

(٥) راجع هامش ص ١٢٦ من ك (أساطير إغريقية) .

الأسطورة منهج أفلاطون :

بيننا كيف أن (الأسطورية) تسرى في فلسفة (أفلاطون) سريان الماء في العود الأخضر ..

وأعتقد أن هذا يكفيننا في بحثنا عن وجود (الأسطورة) في (الفكر الإغريقي) بصفة عامة . وعند (الشوامخ) بصفة خاصة .

وتصورى أنني لو توقفت عند هذا الحد في رفقتنا لأفلاطون . ماكان ذلك خروجاً عن (منهج) . أو عزوفاً عن إكمال ..

ولكنني :ماكنت لأستطيع مغادره رفقة (أفلاطون) دون أن أسجل عليه هنا(رأياً) لبعض الباحثين المعجبين بالإغريق وأفلاطون بالذات . فهو لهذا الحب الإغريقي غير (متهم) في إثبات (الأسطورة) عند أفلاطون ..^(١)

ولكن الأخطر هنا : أن الباحث يذهب شوطاً بعيداً في ربط أفلاطون بالأساطير. فيؤكد في دراسة تحليلية (علاقة فلسفة أفلاطون بالأسطورة) ..

فيوضح أن الأسطورة لم تفرض على (أفلاطون) كواقع إغريقي عاشه أفلاطون ولم يستطع منه فكاً .

بل إن معقد الدهشة أن (أفلاطون) هو الذي كان يسعى إلى (الأساطير) ليروى بها فلسفته . ويغذي منها أفكاره ..

وإن (أفلاطون) يحفل بالأسطورة كمنقذ له في كثير من آرائه الفلسفية التي كان يصطدم بها أثناء تفلسفه . أو تعرض له أثناء (حواره) في (الأكاديمية) الفلسفية ..

فالأسطورة بهذا الوجود : تعتبر (جزءاً) من الفلسفة الأفلاطونية .. لأنها أساس أهم نظرياته (الفلسفية) ..

ولأبالغ فأقول :إن الأسطورة كانت نسيج (كلّ) فلسفته بل هي نسيج (بعض)

(١) راجع التفصيل من ص ١٢٦ إلى ص ١٣١ من ك (أفلاطون) د / عبد الرحمن بدوي .

فلسفته . وقد خرج هذا البعض في صورة الجانب (الطبيعي) في فلسفة أفلاطون .
وبذلك: تكون الأسطورة بصدق :هي قوام فلسفة أفلاطون عدا: العلم الطبيعي.
وإذا كان أخطر ما في فلسفة (أفلاطون) هي (نظرية المثل) . فقد صورها
أفلاطون : تصويراً أسطورياً . سواء فيما يتصل بماهيتها . أو بصلتها بعضها
ببعض . أو بصلتها بالمحسوسات. [لأن أفلاطون كان متأثراً بعض التأثير- بالجانب
الأسطوري- في الدين الشعبي الاغريقي.]^(١)

وتحت عنوان (الأسطورة) يحدثنا . فيقول : [إذا كان القول أو (اللوغوس) يمكن
أن يكون محتملاً^(٢) . فمعنى هذا أيضاً : أن ما هو محتمل يمكن أن يكون قولاً .
أو (لوغوس) .

ومن هنا : نستطيع أن نفهم (وظيفة) الأسطورة بسهولة. فإن (الاحتمال) هو:
منطقة التلاقي أو الجامع المشترك بين : اللوغوس وبين: الأسطورة . أو بين :
الحقيقه وبين الخيال . « الصورة المقلوبة للحقيقة»

ولقد كان أفلاطون في هذه المرة أيضاً (١) غير مخلص للمبدأ اليوناني الأصلي.
وهو : مبدأ الموضوعية . الذي كان يقضي دائماً بالأى ينظر الانسان الى الأشياء
إلا بالنظرة العقلية الخالصة . [.

وعرض لنا الدكتور عبد الرحمن بدوي محاولات الكثير من المؤرخين والباحثين
الذين أرادوا أن يفسروا (ماهية الأسطورة) أو (وظيفتها) في (فلسفة) أفلاطون .
١ - يرى (فكتور بروشار) الفرنسي في كتابه (الأساطير في فلسفة أفلاطون)
والذي حاول فيه أن (ينقذ) المبدأ الأفلاطوني القائل : إن المعلومات يجب أن
تكون مجردة عن (الخيال والحسيات) .

(١) راجع ص ١٦٩ من ك (أفلاطون) .

(٢) أي يخضع لنظرية (الاحتمال) التي ترد على كل النظريات العلمية . على أساس: أن
العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة .. وقد سبق المسلمون بمعرفة (الاحتمال) فكان: علماء الاسلام
يختمون كتبهم ودروسهم وفتاواهم بأصدق تعبير عن (نظريه الاحتمال) وهو (والله أعلم) ..
وتعريف القول عن متكلمي الاسلام: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته .. راجع (نظرية الاحتمال)
ص ١٨. من ك دكتورة منى طريف الخولي .

فيقول : لما كانت فلسفة أفلاطون تنقسم الى قسمين:

أ- قسم يتعلق بالوجود الثابت . أو (الماهيات) ..

ب - وقسم يتعلق بالتغير أو (السيرورة) .

فإن (العلم) عند (أفلاطون) كذلك ينقسم إلى قسمين :

أ - قسم يقابل (الماهيات) وهو : العلم الحقيقي .

ب - وقسم يقابل (التغير) . وهو : الظن .

والأسطورة تدخل في باب (الظن) . فالفكر الاسطوري أو التصوير الأسطوري

إذن : يؤدي الى الظن .

وعلى هذا يجب أن يفرق الباحث في فلسفة أفلاطون بين هذين النوعين فيطرح

الظن الملقى بالأسطورة . ويستبقى الجزء الخاص بالماهيات الخالي من الأسطورة . .

ويعقب (فكتور بروشار) . brochard . V على تقسيمه للشابت والمتغير

الأسطوري عند (أفلاطون) فيقول : [بيد أن الملاحظ أننا إذا فعلنا هذا - طرح

الأساطير عند أفلاطون - فقد أخرجنا الكثير جداً من المذاهب الرئيسية

الأفلاطونية . وأبقينا على جزء ضئيل جداً منها ..

وذلك: لأن أفلاطون لا يستخدم (الأسطورة) في بعض المسائل البسيطة وحدها..

بل : أيضاً : يستخدمها في المسائل الكبرى من فلسفة[. الآلهة الأفلاطونية

ويؤكد (فكتور بروشار) . أن أفلاطون يتحدث عن (الآلهة) حديثاً أسطورياً

كله . إذ (الآلهة) عند أفلاطون : تابعة للتغير .

وأفلاطون حين يتحدث عن (الصانع) يتحدث عنه حديث الأساطير . كما يميل

الى ذلك (تسلر) Teslaer الذي يقول : [ان فكره الصانع في طيماوس: فكرة

أسطورية غامضة] (١) .

٢ - ويرى (فلتر فيلي) PH. Pheily الألماني. في كتابه (بحث في أساس الأساطير

الأفلاطونية): إن الأسطورة تبدأ من الصورة التي نراها عليها في (جورجياس)

(١) راجع ص ١٦٨ من ك (أفلاطون) .

و(الجمهورية) لكي ترتفع إلى أعلى صورة في (المأدبة) .
فيجب أن يقال : إن هناك في الطرف الآخر : محاولة من العقل لكي يخضع
الأسطورة لمنهجه .1..

وعليه عند (فيلي) نكون أمام محاولتين عند أفلاطون :
أ - محاولة للتعقل .

ب - محاولة لصياغة الأشياء في صورة (أسطورية) .
ويقول : (فكأن العقل عند أفلاطون إذن ينشد الأسطورة . وكأن الأسطورة
بدورها تنشئ العقل ...

أي: أن العقل والأسطورة عنده - أفلاطون - متضامنان وليس في الإمكان
الفصل بينهما . [.

وإذا كان (فلترثيلي) يرى أن الفصل بين: العقل والأسطورة مستحيل في
فلسفة (أفلاطون).

فإننا نجد في المقابل من يؤكد على ضرورة الفصل بين جوانب فلسفته
الأسطورية وفلسفته العقلية .

٣ - ويرى : (تيشلمر) Chilemar الألماني في كتابه (المسألة الأفلاطونية) أن
(إفلاطون) كان يلجأ إلى الأسطورة لكي يسهل الفهم بالنسبة لهؤلاء الذين
لا يستطيعون تصور الأشياء تصوراً مجرداً . أي: أن أفلاطون كان (يضطر) إلى
أن يقدم الأشياء في ثياب (أسطورية) . حتى تكون مفهومة لدى الناس. (١)

إذ(الأسطورة) هي الثوب الحسي التجسيمي للأشياء العقلية النظرية المجردة .
وقد تابعه الفرنسي(كوتيرا) . Cuoturat في كتابه (الأساطير الاغريقية) في
هذا الرأي .

(١) معلوم أن أفلاطون كان يرى أن الفلسفة إنما يجب أن توجه إلى الخاصة جداً ذوى العقل
المتأزاة .. وقد كتب على (الأكاديمية) (إذا لم تكن مهندساً فلا تدخل) .. راجع ص. ١٤ من
ك (قصه الفلسفة اليونانية) . فكيف يتفق هذا (التعليل) مع منهج أفلاطون .

وقد خطأ أحد الباحثين كلاً من (كوتيرا) و(تيشلمر): حيث قرر: أن هذا التفسير لا يستقيم لدى النقاد . لأن فلسفة أفلاطون نفسه تأباه فيقول: [والخطأ في هذا الرأي هو : أن مايقوله أفلاطون أسطورياً . ليس بعينه ماقاله حيناً آخر نظرياً مجرداً..

وإنما الواقع : أن أفلاطون يلجأ الى الأسطورة في الحالة التي يرتفع فيها فوق الفكر المجرد. وفي الحالة التي يشعر فيها العقل بأنه : عاجز عن أن يدرك بوسائله هو: مايسعى للوصول اليه . [(١) .

٤ - ذهب الفيلسوف الألماني (هيجل) Heigle وتابعه (تسلر) المؤرخ . إلى أن أفلاطون كان (يلجأ) إلى الأسطورة . في الحالة التي كان يشعر فيها بتراخي عقله . وضعفه عن التفكير . .

ولما كانت هذاً كما يقال (عذر أقبح من ذنب). فإننا نجد من المدافعين عن أفلاطون مثل (إستيفانيني) (L.Stefanini) الذي يحاول تعليل فكرة (تراخي) العقل وضعف التفكير عند أفلاطون فيقول: [إن هذه الحالة ليست حاله تراخ وهبوط ذهني وإنما هي « الحالة العليا» التي تفوق العقل. والتي لا يستطيع الإنسان فيها. أن يدرك الأشياء . إلا على شكل لمع ولمحات .

ومماثل أفلاطون في هذه الحالة إلاكثل : هؤلاء الصوفية من المسيحيين في العصور الوسطى حين يتحدثون عن (الليلة الظلماء المقدسة) .

فهو - أفلاطون- حين يصل الى درجة الأسطورة يكون في الحالة التي ليس فيها إشراق (إلهي) . ينير المسائل العظيمة الرئيسية ..

فلايجد- أفلاطون- أمامه غير الأسطورة للتعبير عن نفسه في هذه الحالة.. [(٢)

وهكذا يحاول (استفانيني) دفع السيطرة الأسطورية عن عقل وفلسفة أفلاطون ويرفض دعوى: التراخي العقلي .

(١) راجع ص ١٣٨ من كتاب (أفلاطون) للدكتور عبد الرحمن بدوي .

(٢) وقد حاول أحد الباحثين أن يجعل للأسطورة منطقاً . فقال : [إن منطق الأسطورة هو: اللامنطق. فهي وسط بين : الحلم واليقظة وتشبه : [أحلام اليقظة] راجع ص ١١٥ من ك (الأساطير) .

ولكن (استفانيني) يلجأ كأستاذه أفلاطون الى خلق جوّ الأسطورة في دفاعه.. فيصور لنا (حالة) أسطورية خرافية هي التي ترقى عن: العقل ويتلاشى فيها الإشراق ..

والحق : أنه عند تلاشى العقل والإشراق .. فلن يجد الانسان سوى... (الأسطورة) تأخذ بعنقه في (ظلمات) عقله وقلبه المتباعد عن منهج (وحي) الله تعالى... فيتخبط في (باطل) الأسطورة وهو حسب أنه يقيم مذهباً . أوينشى (فلسفة)...

علاقة الأسطورة بالقول عند أفلاطون :

إذا كنا قد تحدثنا عن علاقته (اللوغوس) بنظرية (الاحتمال) فإننا هنا نريد أن ندون : علاقته (اللوغوس) بالأسطورة . فيما يأتي:

أ - قد تكون الصلة بين الأسطورة و(اللوغوس) أي : القول : أن: الأسطورة تستعمل (مقدمة) للوغوس..

ب - وقد تكون الصلة : أن الأسطورة (خاتمة المطاف) للوغوس. أي : أن الأسطورة هي (غاية) أفلاطون من مقولته .

ج - وقد تكون الصلة (متشابكة) فتوضح الأسطورة المقولة . وتوضح المقولة الأسطورة ..

ونجد من يجزم بصدق: [أن أفلاطون يلجأ إلى الأسطورة في المسائل الرئيسية الكبرى التي لا يستطيع أن يصل بعقله إليها ..]^(١)

الأسطورة وتعليل الصور(المثل) .

عندما حاول (أفلاطون) أن يذكر فكرته عن (علة الصور) جاءت فكرة غامضة كل الغموض. لعجزه عن توضيح :

أ- كيف وجدت الأشياء بطريق المشاركة في الصور..؟

ب - وما العلة التي سببت هذه المشاركة .. ؟ .

(١) راجع ص ١٣. من المرجع السابق .

ج - وماهو الشيء الذي جمع بين : الصور والمادة . فتكون المزيج الموجود . ؟ .
ويؤكد أحد الباحثين أن هذا الغموض في فلسفة أفلاطون ينحل . عندما
نعلم أن هذا الجزء - العلية في الصور- يدخل فيه الشيء الكثير مما ينتسب الى
ميدان الأسطورة .. لأن أفلاطون لم يستطع أن يدلى فيه بكلام عقلي خالص ..
وهنا : فكرة (الصانع) الأفلاطونية. وهي فكرة أسطورية بحتة . فلاتفسر مطلقا
هذه المهمة . مهمة : عليه الصور.. وإذا بحثنا في كيفية اتحاد الصور والمحسوسات.
وجدنا أن كلام أفلاطون هنا : كلام أسطوري . إذ هو يستخدم لبيان أن هذه
العلاقة فكرة مجازية وهي : فكرة المشاركة ..^(١)

ولعلنا: نكون قد تكوّن لدينا الآن: قناعة بوجود الأسطورة في فلسفة
(أفلاطون) .. أحد شوامخ الفلسفة الاغريقية.
وأن (الاسطورة) عند أفلاطون كانت : سماء وأرضه . وعقله . وعاطفته .
وتاريخه . وفلسفته .

(١) راجع ص ١٧٧ وما بعدها من المرجع السابق .

الانسطورة وارسطو

(٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م)

ولد (أرسطوطاليس) في مدينة (أسطاجيرا) Stajire وكانت مستعمرة يونانية على بحر (إيجة) . وأسرتة عريقة في العمل بالطب.
وكان والده (نيقوماخوس) . طبيباً للملك أمينتاس الثاني . (Amyhtas.11)
ملك (مقدونية). وهو : (جدّ) الاسكندر الأكبر^(١) .

وقد زامل (فيليبوس) والد الاسكندر . فتوقفت صلته بالبلاط المقدوني ..
وعندما بلغ عمره ثمانية عشر عاماً . التحق بأكاديمية (أفلاطون) في أثينا .
وظهرت عليه مخايل النجابة . وامتاز على أقرانه . فقربه (أفلاطون) واسماه
(القرأء) وأيضاً كان يسميه (العقل) . لأشتهار أرسطو: بكثرة القراءة وغلبة الذكاء
الخارق عليه .

وظل أرسطو ملازماً للأكاديمية طوال (عشرين عاماً) حتى توفي أفلاطون .
فرحل عن (أثينا) إلى مدينة أسوس Assos وأميرها صديقه (هرمياس) .
Hermeias وزميله في (الأكاديمية) وتزوج ابنته (بيثياس) Pythias . وغادرها
بعد اغتيال (هرمياس) إلى مدينة (ميتيلين) Mytileme . ولما ماتت زوجته تزوج
(هريليس) Herpyllis فأنجب منها ولده (نيقوماخوس) وإليه أهدى
كتابه (الأخلاق) .

وقد استقدم أرسطو ليتولى تعليم الاسكندر الأكبر . وعمره ثلاث عشرة سنة
وخطب (فيليبوس) أرسطو قائلاً: [لم أفرح بشئ كفرحي بولادة الاسكندر في
زمانك.] .

وعاد أرسطو الى أثينا مرة أخرى بعد تولى الاسكندر (الملك) بعد اغتيال أبيه

(١) وكان الاسكندر الأكبر معجباً بالأساطير خاصة ماكان عند (هوميروس) في الإلياذة وقد
سيطرت الاسطورة على عقله في الحياة لدرجة أنه عندما [بني الاسكندر المقدوني الاسكندرية .
كان يريد لها أن تجئ على غرار (طرودة) حتى لقد قال رامزاً الى ذلك: إن هوميروس سيكون
هو مهندس مدينتي] . راجع ص ٨ من ك (مقدونيه) د/ جمال الدين سيد محمد . نشر هيئة
الكتاب سنة ١٩٨٧ .

ولكنه لم ينضم للأكاديمية رغم ازدهارها . فقد قرر أن ينشئ مدرسة فلسفية خاصة به بمساعدة الاسكندر الاكبر . واختار للمدرسة حديقة جميلة خاصة بأبوللون لوقيوس (إله الرعاة) عند الإغريق (Apollolyceus) . وعرفت مدرسته باسم (اللوقيين) . وعرف مع تلاميذه باسم (المشائين) . Pepateticiehs.

واضطر (أرسطو) الى مغادرة أثينا بعد احتلالها .. وفرّ هارباً إلى مدينة (خلقيس) Chalcis ومات بها وعمره ثلاثة وستون عاماً .^(١)

ويذكر أحد الباحثين أن أرسطو هو ابن (نيقوماخوس) فيقول : [وقد يكون من دواعي اختيار (فيليب) لأرسطو . أن: نيقوماخوس أبا أرسطو كان طبيباً . في هذا البلاط في عهد أمنتاس ..]^(٢)

وذكر الشهرستاني عنواناً يقول: [رأى أرسطو طاليس بن نيقوماخوس]^(٣)

المدرسة المشائية في عصر أرسطو:

لم تكن طريقة (أرسطو) في المدرسة (اللوقية) قائمة على (الحوار) في الغالب . بل كانت تلجأ إلى : منهج الخطابة والشعر لعامة الناس .. وكانت (المشائية) تدرس للخاصة في الصباح: المسائل الفلسفية العالية . فإنها في المساء كانت تعلم : فن الخطابة والشعر لعامة الناس .. وكان يساعد أرسطو في إدارة المدرسة: أذيوس . وثاوفرستس .

منهج المدرسة :

كان الاتجاه الأصلي للمشائية في عصر أرسطو: الميل إلى: الأبحاث العلمية الصرفة. فقد تأثر ارسطو بالمدارس العلمية الطبية والفلكية وانعكس ذلك على فلسفته بصورة عامة .

(١) راجع التفصيل ص ١٥١ من ك (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية) .

(٢) راجع ص ٢٩ من ك (أرسطو) د/عبدالرحمن بدوي. نشر مكتبه النهضة المصرية سنة ١٩٤٣

(٣) راجع ص ١٢٨ ج ٢ من ك (الملل والنحل) نشر الأنجلو سنة ١٩٥٦ م

وكان جميع أساتذة (المشائية) من غير أبناء (أثينا) . أما التلاميذ فقد كانوا خليطاً.

وكان [المنهج الذي .. تسير عليه منهجاً تعليمياً منظماً . مبتعداً عن الأفلاطونية] .^(١)

طابع الفلسفة الأرسطية :

نقلت فلسفة أرسطو وكتبه كلها الى اللسان العربي . خلال ترجمات متعددة . كما نقلت شروح تلامذته .^(٢) ووصف بالإلحاد لإنكاره علم الله تعالى بالجزئيات.^(٣) وقوله بمتحرك لا يتحرك ولا يحرك . واعتقاده في فكرة تسيير العالم فجعل منها (إلهاً) أشد تأثيراً . وهي (العشق) . [فبالآله معشوق- سلمي- يحرك العقول من حيث هو موضوع شوقها وحبها . ويحرك السماء الأولى على أن لها نفساً ، وهكذا فحركة الكل على سبيل الشوق - وشوق الأفراد إلى: المبدأ الأول هو أصل النظام الطبيعي (١) - فلاعين من الأعيان الا وهو مشغوف بوجهه . ساع إلى الاتصال بمبدئه حتى يلتحق به . فهذا الشوق هو سبب ترقى الموجودات من طور الى طور..] .^(٤)

وكان أرسطو واسع المعرفة بفروع العلم . فكان (أعلم) أهل عصره عدا (الرياضيات).

وألف في المنطق وعلم الحيوان والفن والبلاغة والفلك والظواهر الجوية . وانتقد أستاذه (أفلاطون) كثيراً.. لدرجة أنه قد [نشأ بحث أرسطو فيما بعد الطبيعة من تحليله لنظرية أفلاطون في المثل . وبيان مافيها من أخطاء..] .^(٥) وكان (أرسطو) أقل تعرضاً للخطأ من أفلاطون وإن كان انتهى مثله إلى ردّ العالم

(١) راجع ص ٣٥ من المرجع السابق .

(٢) راجع ص ٦٦ ج ١ من ك (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) د/علي سامي النشار

(٣) راجع ص ١٦٧ ج ٢ من المرجع السابق .

(٤) راجع ص ٢٨٨ وما بعدها من ك (دراسات في الفلسفة) د/صلاح عبد العليم .

(٥) راجع منهج أرسطو في الإبطال وأدلته ص ٢٢ وما بعدها . من ك (قصة الفلسفة اليونانية).

لفكرة (ثنائية) أفلاطون . وبذلك [أقام أرسطو فلسفته على أساس من أفلاطون].^(١)

وقد كان أرسطو رغم نقده .. عقلاً إغريقياً قوياً استطاع بقوة عقله أن يستخرج المنطق في قواعده المنظمة. وقدم فلسفة عقلية مؤصلة على مناهج العقل داخلها الكثير من الابتكار^(٢) . وكادت تكمل على يديه (الفلسفة الطبيعية) .. ولكن مشكلة (أرسطو) كغيره من الفلاسفة .. أنه خاض غمار الجانب الإلهي . بقواعده العقلية الفلسفية. فضاء منهجه أو ضيعه منهجه .. وفلسفته . فإنه إذا كان الميدان (الميتافيزيقي) له منهجه الخاص به فإن الجانب الإلهي بما فيه.. لا يمكن أن يدرك الا بفيض الوحي الإلهي .

ومن هنا : كانت (عشرات) أرسطو في فلسفته الواقعية المنطقية والتي كانت [فلسفة منطقية طويلة النفس. كل شئ فيها يجري في دقة باردة ويدور على منوال التجربة ..]^(٣)

وقد حفظت (الترجمات) العربية فلسفة أرسطو فلم ينل منها التأثير الأفلاطوني بالتغيير والتبديل كما حدث لكتبه باللغة الإغريقية وقد اعتمدت أوروبا على (أرسطو العربي) . [واستطاع الشرق في القرون التالية . أن يصبح معلماً لأوروبا التي لم يكن فيها استمرار لتقاليد عمليه لم تتغير نسبياً . والذي تلقته أوروبا كان العلم الهيليني- الاغريقي- في صورة عربية. موسعة بعض التوسع. ثم النصوص الأصلية القديمة في ترجمة عربية مثل: كتب أرسطو الحقيقي. لاكتبه المغيره تحت تأثير أفلاطوني جديد..]^(٤) وليس هذا استطراداً : إنما هو تقرير لدعوى تهمنا هنا وهي: أن العرب فهموا فلسفة أرسطو حقيقة. وأن الدعوى المعاصرة التي تنادى بأن المسلمين لم يفهموا الاغريق .. وأن من يريد أن يقف على الفلسفة الاغريقية لابد أن يتعلم (اليونانية) القديمة حتى يستطيع أن يقف على (التراث الاغريقي) : دعوى باطلة.

(١) راجع ص ٢٦٦ من المرجع السابق.

(٢) راجع ص ٢٤ من ك (دروس في تاريخ الفلسفة)

(٣) راجع ص ١٥٦ من ك (من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية)

(٤) راجع ص ١٧ من ك (التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية) دكتور/ عبدالرحمن بدوي .

وأصحاب هذه الدعوى .. يقصدون . أن يتحولوا الى (كهنوت) يحجر على
الفلسفة الاغريقية . ويشل العقول العربية عن (نقد) الاغريق .. كما - بالتالي -
يلقي في البحر بكل نقد للفلسفة الاغريقية^(١) .

وهذا تعصب (عرقى) تأباه طبيعة الأمور .. وقد قصدنا منه أن نعتمد على
هذا التوثيق .. لنلقي الضوء على الجوانب (الاسطورية) عند (أرسطو) ..

فقد ظهر لنا : أن أرسطو رغم فلسفته (الواقعية). فإنه قد وقع فى حبال
(الأسطورة) مثله فى ذلك مثل كل فلاسفة الإغريق ..

ولكن الملاحظ : أن الأسطورة لم تكن (فواحة) الظهور .. بل كانت مغلقة . بما
تملكه . (أرسطو) من قوة العبارة. ونظام المنطق ..

(١) ولو أحسنا الظن بأصحاب هذه الدعوى فإننا قد نرى فى تلك الدعوى .. أنها: محاولة
لستر (معايب). الفلسفة الاغريقية .. التى يعتبرونها (جناح) الاستعلاء. على غير « الاغريق » .

الأسطورة عند أرسطو :

إن الباحث ليجد عناءً في نسبة (الأسطورة) إلى مثل (أرسطو) الذي سبقت شهرته . وطبقت الآفاق بأنه فيلسوف (الواقعية) . والمنطق الصارم المنظم ... وذلك : لأن البعض درج على تكريم عمالقة الفكر لدرجة قد تصدف عن الحق أحياناً ..

لكن (الحق) في حد ذاته هو (مقياس) معرفة الرجال . وتجاوز هذا المنهج (آفة) في (القابل) كما قرر (الغزالي) (١) .

ومن هنا : سأحاول أن أتلمس (الأسطورة) المستورة عند أرسطو . والتي خلطها بفلسفته العقلية . ومزجها بمنطقه مزجاً جعل (الأسطورة) تكمن في مذهبه . وقد توارت في حجب فلسفته وارتدت أقنعة البراعة الأرسطية ..

والحقيقة : أننا لانستطيع أن نقرر هنا :

هل تعمد أرسطو أن يتخذ من الأسطورة دعامة لكثير من فلسفاته ...؟ ..

أم أن (الأسطورة) قد تسللت إلى فلسفته في خفية تائراً بالتراث الشعبي الإغريقي ...؟ ..

رغم أننا نجد (مظان) هنا وهنا .. تجذب هل (الترديد) الى مستقرها من طرف (خفي) ..

وفي الجانب الأسطوري لم يكن أرسطو (موسعاً) لها في فلسفته بطريق مباشر . فقد وصف بأنه [أشبه بشخص في كامل وعيه وسط حشد من السكارى ..] (٢) رغم أن أرسطو كان [يغير من آرائه أحياناً] . (٣) .

وإذا كان (أرسطو) قد استطاع أن يقيم الجانب الطبيعي في فلسفته على

(١) راجع ص ٤٦ من ك (المنفذ من الضلال) تحقيق د/ عبد الحليم محمد الانجلو .

(٢) راجع ص ٤٥ من ك (فلاسفة الاغريق) تأليف ريكس وورنر ترجمه / عبد الحميد سليم .

(٣) راجع ص ١٣٥ من المرجع السابق .

متهج (العقل)..فإننا نجد من يخبرنا: أن الأسطورة نشأت مواكبة للعلم الطبيعي باعتبارها (التفسير) لمظهر الطبيعة .^(١)

وهذا يجعلنا: أكثر تقديراً لأرسطو..في شعوره القلق بالأسطورة ومحاولة تجنبها.. ولكن : أتى له ذلك ..!..

١- عندما تعرض (أرسطو) في كتابه (الأخلاق إلى نيقوماخوس) لتعريف (العادة). نجده يلجأ إلى الأسطورة . ليوثق بها فكرته وليستدل بمؤدى الخرافة فيها إلى ماينفى عرضه من فلسفة ..

يقول أرسطو: [وعندما نقول عن الأطفال إنهم سعداء . فهذا ثناء لما يتوعدهم في المستقبل ..والسعادة تتطلب أمرين :

أ - صلاحاً تاماً .

ب - حياة كاملة .

لأنه يحدث الكثير من التقلبات والتغيرات بمختلف أنواعها في معترك الحياة.ومن الممكن أن يواجه أكثر الرجال رخاء . أعظم النكبات في سنوات انهياره كالقصة - الأسطورة - التي تروي عن (برايم) Priam في سير الأبطال . ولكن لا يوصف إنسان بأنه سعيد إذا واجهته محن كالتى واجهت (برايم) . وكانت نهايته نهاية بانسة..]^(٢) .

ونجد من يشرح لنا أسطورة(برايم) التي لاقت إعجاب أرسطو فاستغلها في نسيج فكرته. فيقول : [تذكر الأسطورة الاغريقية أن (برايم) كان آخر ملك من ملوك (طروادة). Troy التي حاصرها الاغريق طوال عشر سنوات . وكان مصير (برايم) أن ذبح اثناء حصار المدينة . ووضع في جوال..]^(٣) .

٢- ونجد أرسطر يذكر لنا في (الأخلاق إلى نيقوماخوس) أسطورة(تعدد)الآلهة

(١) راجع التفصيل ص٤٢ من ك(أساطير إغريقية).

(٢) راجع ص١٥٩ من ك(فلاسفة الاغريق)

(٣) راجع هامش ص١٥٩ من المرجع السابق .

الإغريقية الاسطورية فيقول: [مادنا نقول عن الآلهة أنهم مباركون وسعداء . فإن عبارة (مباركون) هي أيضا العبارة التي نصف بها الأشخاص الذين هم أكثر شيها بالآلهة].^(١) ولعله يقصد (الكهنوت) للدين الشعبي الإغريقي.

٣ - ويعلى (أرسطو) في منعطف يدعو للعجب وعنده بالذات شأن (الصدفة) ويرتب عليها بعض آرائه . بل يعتبرها جزءاً من (الطبيعة).

فيقول: [.. وفي حالات فيها تمهد المصادفة لترايط مثل هذا .. كما لو كان قد

رتب عن قصد . فإن الكائنات التي شكلت بصورة ملائمة عن طريق الصدفة عاشت واستمرت تموت كما يقول أمبدوكليز- في أسطورته- عن: ثيرانه ذات الوجوه الآدمية]^(٢)

ويقدم لرأيه بفكرة أسطورية يقول فيها: [إن الطبيعة تفعل كما يفعل (زيوس). تسقط المطر. لا ليجعل القمح ينمو . بل ينمو بالضرورة .. ومن ثم لا بد أن يسقط. وعندما يحدث هذا مصادفة ينمو القمح..]^(٣)

٤ - لم يفرق (أرسطو) بين: الخرافة والأسطورة . في عصر كان يحاول أن يفرق بينهما بفارق بسيط هو: أن الأسطورة خرافة لها صلة بالدين والعقائد الإغريقية.. أما (الخرافة) فقد تكون مجرد حكايتة أسطورية لاعلاقة لها بالدين والعقيدة.. ولكن هذه التفرقة لم تستطع أن تكون (فسيطة) في عقول الفلاسفة والنقاد.. فكان (الالتحام) بين الخرافة والاسطورة يبدو منهجاً في العرض. ويقول أحد الباحثين: [وفي ضوء هذا الالتحام - الذي يحتمل الفصل- يمكن أن نفهم .

لماذا لم يفرق أرسطو بين الخرافة والأسطورة..؟..

بل ربما فهم من كثير مما ردده في كتابه (فن الشعر) أنهما شئ واحد. لاسيما عندما يستبدل بهما (الحكاية).

فالحكاية - القصة - أو الأسطورة- وكلتاها تتألف من أفعال - هي: مضمون الشعر. أو: موضوعه ...

(١) راجع ص ١٦٤ من المرجع السابق (٢) راجع ص ١٧ .

(٣) راجع ص ١٦٩ من المرجع السابق .

فوحدة(الخرافة) - عند أرسطو- لاتنشأ عن كون موضوعها شخصا واحداً
كهيرقل الأسطوري ..[.].

ويقفز أرسطو قفزة هائلة في مجال الأسطورة فيؤكد ربما لأول مرة في الفكر
الإغريقي أن [الشاعر يجب أن يكون صانع: حكايات وخرافات أكثر منه صانع
أشعار .. ويجب أن تؤلف (الخرافة)بحيث تكون(درامية) . وتدور حول فعل
واحد تام كله . ولاتكون مشابهة للقصص التاريخية ..] (١)

وهكذا نجد أنفسنا : أمام (محاولة) لتقنين أو تععيد أسس منهجية للخرافة
والأسطورة .

ويتجلى لنا ذلك عندما نجد أرسطو يجعل(الخرافة) عنصراً عاماً في (الشعر)
الذي عرفه بأنه: هو الذي يكون ويربي وجدان الأمة الإغريقية بجانب الفلسفة التي
تربي عقلها ..

وكأن أرسطو بذلك يرى أن (الخرافة) يجب أن تكون الثقافة الوجدانية
الإغريقية ..

وهذا الاستظهار ليس من قبيل المبالغة فإننا نجد أرسطو يؤكد في كتابه (فن
الشعر) على أنه[لا بد لكل شعر من أن يتكون من ستة أجزاء - لا أكثر ولا
أقل - وهي :

١- (الخرافة) (٢) . ٢ - (العادة) . ٣- (الاعتقاد) .

٤ - (المقولة) . ٥- (اللحن) . ٦- (النظر) .

وبيان أرسطو لهذه الأجزاء غير دقيق وغير مفصل.ولكن الظاهر أن الخرافة
تجمع الأحاديث المختلفة المكونة للفعل الفاضل الذي يحكي في الشعر..] (٣)

(١) راجع ص٦٧ من ك(الأساطير)د/ احمد كمال زكي. نشرمكتبه الشباب سنة ١٩٧٥ بالقاهرة .
(٢) يذكر من حقق الكتاب عند ورود الخرافة هامشا يقول : [أي: أسطورة . ولكن يستخدم
ابن رشد لفظ (الخرافة) . ولايستخدم لفظ (القصة) فلذلك أفضل أن أتابعه في استخدام هذا
المصطلح بعينه . راجع هامش ص٤٢ من كتاب(تلخيص كتاب الشعر) لابن رشد.
(٣) راجع ص ٣٢ مقدمة ك (تلخيص كتاب الشعر) لابن رشد تحقيق الدكتور تشارلس
بتروث والدكتور احمد عبد المجيد هريدي. نشر هيئة الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٧ م .

ويؤكد الفيلسوف (إبن رشد) نظرة أرسطو في الخرافة . فيلخص فكرته ويقول: [قال- يقصد أرسطو- : وقد يجب أن تكون أجزاء صناعة المديح ستة : الأقاويل الخرافية والعادات والوزن والنظر واللحن ..

ثم يقول أرسطو: وأجزاء القول الخرافي من جهة ما هو محاك . جزءان . وذلك : أن كل (محاكاة) .

أ- فإما أن يوطئ لمحاكاته بمحاكاة ضده . ثم ينتقل منه إلى محاكاته . وهو: الذي يعرف عندهم بالإدارة ..

ب - وإما أن يحاكي الشيء نفسه دون أن يعرض لمحاكاة ضده . وهو : الذي كانوا يسمونه بالاستدلال .

والذي يتنزل من هذه الأجزاء . منزلة : المبدأ . والرأس . هو: القول الخرافي المحاكي.]^(١)

ويعول أرسطو كثيراً على سوق (الأسطورة) في قالب الحقيقة. إذ لا ينبغي - عنده- أن تساق ومعها ما يشير إلى أسطوريتها أو حتي (رمزيتها) .

يقول أرسطو: [وينبغي أن تكون الخرافة المخيفة المحزنة مخرجها مخرج ما يقع تحت البصر. يريد: من وقوع التصديق بها لأنه إذا كانت الخرافة مشكوكاً فيها (١). أو : أخرجت مخرج مشكوك فيها. لم تفعل الفعل المقصود بها. وذلك : أن ما لا يصدق المرء. فهو لا يفرع منه ولا يشفق عليه..]^(٢)

ولا يرد علينا أن مانذكره عن (أرسطو) في مجال الأسطورة في الشعر . مفارق لغاية البحث في (الفلسفة الإغريقية) ..

فإنه يتلاحظ : أن أرسطو في هذا المنشط .. يحاول جاهداً أن يفهم الأسطورة في الشعر بمنهج الفكر والتفريع الفلسفي.

وهذا وحده يدلنا على أن (أرسطو) لم يفرق بين (الشعر) وبين (الفلسفة)

(١) راجع ص ٦٩ وما بعده من ك (تلخيص كتاب الشعر) لابن رشد .

(٢) راجع ص ٨٦ من المرجع السابق .

بنفس التفرقة الحادة التي نعايشها في عصرنا الحديث ..

فقد يدرك الباحث هنا وهو يتصفح كتاب (فن الشعر) لأرسطو.. أنه أقام كتاباً في المنطق الموضوعي .. أو في الفلسفة ..

ويعقب بعض الباحثين على فكرة أرسطو الأسطورية في الشعر . فيقول:
ولعلنا نخلص من أقوال أرسطو إلى الحقيقتين التاليتين :

أ- إلى أن القدماء لم يفصلوا بين الأسطورة والحكاية الخرافية .

ب - وإلى أن كلا منهما - الأسطورة والخرافة- بعيد عن التاريخ المحقق .

وإذن: يصبح المجال أمام (الراوية) أكثر اتساعاً للازدياد أو للتغيير أو التحريف.
بحيث يمكن القول: إنه أوجد حكماً؛ أية أو أسطورة جديدة ..^(١)

ولعلنا الآن أدركنا أن (أرسطو) يحفل بالأسطورة ويدرك خطرها في الفكر الإغريقي.. ويحاول أن يوصلها على منهجه الفلسفي ويجعل للأسطورة (وظيفة) وجدانية ..

٥- عرف أرسطو (الأسطورة) التي قامت عليها (الملاحم) الإغريقية . والتي يطلق عليها (المأساة اليونانية) .

فقد أورد أن كلا من: [المأساة والملهات نشأت عن الديثورامبوس.. تكريماً للإله (ديونوسوس)... ويعلق (باي ووتر). BYWATER . على نص أرسطو هذا بقوله:
«إن المعلم الأول كان يعرف أكثر مما ورد في قوله ..»^(٢)

وقد عرف (أرسطو) المأساة اليونانية .. وقد استمدت منذ نشأتها كل (موضوعاتها) من: الأساطير والخرافات التي ورثها اليونان عن أسلافهم.. [فقد أدرك الشعراء كما أدرك أرسطو: أن : المأساة يجب ان تتناول شخصيات بارزة وحوادث هامة . ويجب أن تكون ذات معنى مثير. لكي تستولى على مسامع

(١) راجع ص ٦٧ من ك (الأساطير) .

(٢) راجع ص ٤٤ من ك (المأساة اليونانية) د/محمد صقر خفاجة ود/عبد المعطي شعراوي .

الحاضرين . ولا يتحقق ذلك . إلا إذا تناولت موضوعات مستمدة من الأساطير ..
فكان الإغريقي يتخذ من تلك الأساطير إطاراً يعرض فيه روايته .. ليقنعوا بها
الشعب الأثيني [..] (١)

ويؤكد (أرسطو) مذهبه في الأسطورة الشعرية عندما قارن (المأساة) بغيرها من
الفنون عند الإغريق وخلص من تلك المقارنة إلى فكرته التي تقول: (وعلى ذلك:
فالشعر أكثر فلسفة وأسمى مكانة من التاريخ . لأن الشعر يعبر - عند أرسطو -
عن ظاهرة عامة . بينما يقص التاريخ وقائع شخصية . [..] (٢)

وإذا كانت النزعة الإغريقية الأسطورية قد سرت في الشعر . فإنها امتدت
إلى (الفلسفة الإغريقية). وذلك عندما (تأثرت الفلسفة بأساطير تراجيديا
اليونان). [..] (٣)

وقد عاش فلاسفة اليونان تحت وطأة العقيدة الشعبية التي ملئت بالأساطير.
حتى وجدنا أن: (الفيلسوف الإغريقي الذي لم يؤمن بأساطير الإغريق - ونادراً ما هم -
مثل: إنكساغوراس - اتهموه بالإلحاد.. [..] (٤)

ولاشك أن (أرسطو) كان يعيش عصره بكل الأبعاد . فقد جاءت فلسفته
معبرة عن هذه المعاشة حتى لقبته (بالواقعية) . لقربها من وجدان وحياة الآغريق
المعاصرين به . بل: وتفاعلها مع البيئة الإغريقية بما فيها من عقيدة بدائية شعبية
وشعرية وأساطير ..

ولانريد أن نكرر أن أرسطو كان يستطيع أن يفرق بين الأسطورة وبين الفلسفة..
ولكنه كان أكثر الفلاسفة الإغريق (حذراً) في قبول الأسطورة .. وأكثرهم تأثراً
بالبيئة الإغريقية .

(١) راجع ص ٦٢ من المرجع السابق .

(٢) راجع ص ٧١ من المرجع السابق.

(٣) راجع ص ١٩٤ من ك (المأساة اليونانية)

(٤) راجع ص ٩ من ك [دروس في تاريخ الفلسفة] .

٦- رغم البناء العقلي الشامخ في فلسفة أرسطو. فقد تفلتت منه بعض العبارات التي (توحي) بمدى قبوله للأسطورة المستترة في فلسفته .

أ- ففي مجال الفلسفة الطبيعية نجده يفسر الأجرام السماوية تفسيراً أسطورياً يتسق مع ما عليه الدين الإغريقي الأسطوري . فيقول: [إن الاجسام السماوية أجسام آلهية.. وأن هذه الاجسام لها عقول أرقى من عقل الإنسان..] (١)

وهو لا يقصد على وجه القطع بوصفه للاجسام السماوية بأنها (إلهية) أنها: أجرام مخلوقة لله تعالى.. وأن الوصف وصف نسبة المخلوق للمخالق سبحانه وتعالى.. ويرشح لهذا التصور عقديتنا نحن المسلمين . ودعوى البعض أن أرسطو(موحد)يقول بآله واحد..!..

والحقيقة أن أرسطو لا يقول بآله واحد. وإنما يقول بمحرك سلبي العشق أرسطو أكثر إيجابية من إلهه هذا.. ويصرح - كما أشرنا من قبل- بأن(زيوس)هو (الإله الواحد) فوق(الآلهة)

ولعل هذا يوضح لنا لماذا ورد عن (أرسطو) أنه كان يتكلم عن (الإله) مرة بصيغة المفرد. وأخرى بصيغة (الجمع).. وهو بذلك: يصدر عن عقيدة الإغريق الوثنية الأسطورية ..

وقد بان الآن: أن(إله) أرسطو لا يمكن أن يكون في تصور أرسطو(خالقاً). لأنه (فصل) بينه وبين(العالم) في (ثنائية) مضطربة . قاداته في كثير من الأحيان إلى مشكلات فلسفية جعلت الكثير من الباحثين يضع(أرسطو) ضمن الفلاسفة الذين يقولون بأسطورة (الحلول) الهندسية القديمة . والتي وجدت عند الإغريق ..

وننقل هنا عن الباحثين قولهم] وفي تعاليم أرسطو ما يشعر بمذهب الحلول . وهو المذهب القائل : بأن الله حالّ في كل شيء . وأن كل شيء مظهر له .فإن فلسفة أرسطو تقول : إن كل شيء في العالم يسعى لتحقيق العقل وله حظ منه .والعقل

(١) راجع ص٢٤٣ من ك (قصة الفلسفة اليونانية).

الكامل هو (الله) ، وإن اختلفت الأشياء في مقدار حظها منه ..^(١)
ولاشك أن (الحلول) أسطورة دينية بدائية . حاول (أرسطو) أن يشيعها في
فلسفته . فتلونت فلسفته: مع (الحلول) المذاب بالأسطورة ..

أرسطو وفلسفته الأسطورية :

إذا كنا قد وقفنا على بعض (المظان) أو (الاشارات) أو (الايحاءات) التي
توضح أن (أرسطو) لا ينحي (الأسطورة) عن فكره أو فلسفته . وإنما يحاول أن
يجد لها (منهجاً) ينشده من يسير على دربه.
وهذا في الحقيقة (ترويح) للأسطورة في الفكر الانساني بصورة عامة.. وفي
الفكر الاغريقي بصفة خاصة ..

وإذا كان هذا يمكن أن يكفينا في قناعة بوجود (الأسطورة) أو وجود
«خيوط» أسطورية . عند أعظم فلاسفة الاغريق. وأطول (شوامخ) الفلسفة
الاغريقية قامة . لأن (أرسطو) كان يشعر بعلاقة الأسطورة بالباطل والوهم.. فكان
«يستحي» من إبرازها. أو «يستتكف» أن يعلن عنها في فلسفته . إن صح هذا
التعبير .

ولكننا لن نقف عن هذا الحد .. وإن كان يعتبر مغنياً لمن كان بارعاً في
إخفاء وستر الجوانب الأسطورية مثل (أرسطو) ..

لأننا وجدنا من الباحثين الذين نشق في سيرهم للفلسفة الاغريقية. من يؤكد
في قوة وصراحة أن (أرسطو) هذا العملاق الاغريق.. تردى في (الأسطورة) متأثراً
بعوامل (البيئة) الاغريقية الاسطورية . والتي أحاط بها (الدين الشعبي الاغريقي
الاسطوري) . الذي روج للأسطورة في بنيان المجتمع الاغريقي .. ولم يفرق بين:
فلسفه وخطباء . أو بين: عامة وخاصة ..

موقف الباحثين:

أولاً:- يؤكد أحد الباحثين أن (أرسطو) كان يقول بأسطورة (تعدد) الآلهة عندما
قال عن فلسفته: [إن للسيارات - الكواكب - حركات . ويصل في حسابها على
مذهبه إلى (٥٥) أو (٤٧) فيضع مثل هذا العدد من (المحركين) الأوائل . ويصفهم

(١) راجع ص ٢٤٩ من المرجع السابق .

بأنهم (آلهة) الكواكب. وأنهم محركون أوائل أزيلون.. [ثم يقول: يقول أرسطو: «إن السموات تشتفي أن تحيا حياة شبيهة بحياة المحرك ما أمكن. لكنها لا تستطيع لأنها مادية فتحاكيها بالتحرك حركه متصلة دائمة هي : الحركة الدائرية.] .

ثم يعقب على مذهب أرسطو بما يدمغه بالأسطورية فيقول: [ولكن من يتأمل هذا القول يراه: أقرب إلى الشعر والخيال منه إلى: التعليل والصحيح.]^(١) بل ونجد (أرسطو) عندما أراد أن يصف إلهه الذي توصل إليه بفكره .. إنما يصف على الحقيقة (إلهه) الاغريقي رب الأرباب الاسطوري (زيوس) ..

فقد انتقد (أرسطو) الباحثون عندما قال : إن الإله لا يعلم إلا ذاته وقالوا : [وأرسطو بهذا الرأي يتصور الآله منظوياً على نفسه ومقصوراً على برجه العاجي. غير عالم بشئ من الكون ولا مريداً لما يجري فيه من أحداث..]^(٢)

٢- أثناء مناقشة مشكلة (تجرد) الفيلسوف . وأثر ذلك على فلسفته . ذهب الباحثون إلى: أن المفكر في تفكيره لا يمكن أن يتجرد من (البيئة) تجرداً كاملاً .. وعندما أراد الدكتور عوض الله حجازي . أن يشرح فكرته تلك في استحالة (التجرد) إلتام للفيلسوف أو المفكر من عوامل: البيئة والوراثه والمدرسة.. ضرب مثالاً بالفلسفة الاغريقية .. ورجلها القوى العملاق أرسطو الذي اشتهر بميله ودعوته إلى: العقل في مناشط التفكير ..

فقال: [أمامنا الآن الفلسفة الإغريقية تاريخها ورجالها . فلننظر إذن مدى صدق: قضية التجرد على ضونها . وإذا استعرضنا هؤلاء الفلاسفة . لوجدنا في القمة (أرسطو طاليس). ذلك الفيلسوف الذي حقق كيان الفلسفة اليونانية..]

ثم يقول : [فلننظر : هل استطاع ذلك الرجل أن يفكر غير متأثر بشئ:؟] . وبعد أن يصور القيمة العقلية للموضوعات الفلسفية عند أرسطو وأنها ارتقت به بحيث لا يمكن أن نقارن أرسطو بغيره من فلاسفة الإغريق. لأنه (قمة). وهم دونه في المرتبة . يعرّج على بيان:-

(١) راجع ص ٧٥ من ك (في الفلسفة الاسلامية) د / عوض الله حجازي .

(٢) راجع ص ٧٦ من المرجع السابق .

عقيدة أرسطو في [الإله] . ويقارنها بعقيدة الإغريق الوثنية . حتى يقف على مدى التشابه بين فلسفة أرسطو وعقيدة الإغريق ...

العقيدة الإغريقية الأسطورية عند أرسطو:

ويقول: [قبل أن نبسط رأي أرسطو في الإله . يجب أن نلم بالعقيدة الشعبية - الأسطورية - التي كانت تسيطر على البيئة التي كان يعيش فيها أرسطو . ويعتقدها العامة من حوله .

الدين الشعبي: لم يكن ثم إله واحد. يدين له الجميع بعقيدته بل كانت آلهة مختلفة متفرقة في أنحاء شتى من بلاد اليونان . يدين لكل منها فريق بعبادته . ويقدم لها قرابينه.

وهذه العقيدة الشعبية من خصائصها : التعدد في الألوهية . وأن الآلهة ليست جميعها (مغيبة) . بل الكثير منها (مشاهد) . وليس بلازم أن يكون (الإله) ذا نفع أوضر في واقع الأمر ..].

ثم يعود باحثنا إلى: بيان رأي أرسطو في الإله فيقول: [إن أرسطو يراه: طريفاً جميلاً . له صورة كاملة . لانقص فيها مطلقاً ولاحركة له ...] .

ويعقب على ذلك فيقول: [هذا هو إله أرسطو .. الذي توصل إليه بعقله بعد تفكيره الفلسفي العميق ..

ولم يقل أرسطو عن (إلهه) إنه: خالق. بل: كل تلك الصفات التي أعطاها أرسطو (لإلهه): صفات سلبية ليست لها قوة الخلق والإبداع ... إن أرسطو كان يقتصر في تفسيره لمظاهر الكون على المشاهد فقط. ولم يكن يعترف بمغيب وراء الطبيعة يسبغ عليها قوة التأثير والخلق والإبداع .. بل يفسر الكون بأسباب من داخله غير مغيبة خلفه أو وراءه ..

فعلى ضوء ماقرره أرسطو في الإله نجد أنه تأثر بالعقيدة الشعبية - الأسطورية - لأنه لم يجعل إلهه مبدعاً خالقاً .

وقد أعطي أرسطو للإله الأسطوري: من الصفات التي وجدها لديه في:

العقيدة الشعبية الاغريقية - والتي وأما مستمدة من هذا الوجود نفسه .

[فأرسطو - بالرغم من أنه سيد فلاسفة اليونان جميعا - لم يتجرد عقله من أثر البيئة . بل كانت البيئة لها أثرها القوي الجبار في عقله وتفكيره . ولم (يتجرد) أرسطو للعقل العام.].

ويؤكد أن أرسطو خضع للعقيدة الشعبية الإغريقية الاسطورية عندما أراد أن يقدم تفسيراً لفلسفته في (الوجود).

فقد قدمنا أن أرسطو اعتبر الكواكب (إلهة). وأنها عقول تنتهي عند العقل الأخير ..

والذي حجب أرسطو عن القول بالتأثير المباشر للإله . بدلاً من هذه (السلسلة) للإله . إنما هي (عقيدته) الشعبية الأسطورية (التعدد) وقد تأثر أرسطو بوثنية الإغريق .

ثم يقول: [وهكذا نجد أرسطو في واقع الأمر متأثراً بالعقيدة الشعبية . لقد كان أرسطو (شعلة) النبوغ الفلسفي القديم حتى لقد قيل عنه إنه: ملحد. ويعني هذا: انه لا يقر بمعتقدات بيئته . وأنه يتجرد منها .. ومع ذلك: نجده متأثراً بالبيئة- الأسطورية - إلى حد أنها - البيئة - تغلب عليه في أخطر آرائه ..

فكيف نقول إذن : إن الفيلسوف هو الذي تجرد للتفكير المحض...؟؟..

إن الانسان يستحيل عليه تماماً أن يتجرد من عوامل البيئة في تفكيره وإن التجرد التام ضرب من المستحيل لا يمكن أن يوجد أو يكون. ولكن يختلف إنسان عن آخر في مدى هذا التأثير . والانسان (أسير) البيئة والوراثه والمدرسة ..

فكيف يتجرد منها جميعاً في أحكامه وقضاياه وتفكيره...؟؟..

نعم : يجوز أن يتجرد .. ولكن إلى حد (ما) .. والذي حدث عند أرسطو أنه: تجرد ولكن بقدر الاستطاعة .. فإن بيئته أثرت فيه^(١) تأثيراً (لا شعورياً) . ظهرت صورته في آرائه وأفكاره ..].

(١) راجع في هذه الفكرة ص ٩٨ وما بعدها من ك: (في الفلسفة الاسلامية) د/عوض الله حجازي..

وبهذا الوضوح نجد من يؤيدنا فيما ذهبنا إليه من أن(أرسطو) لم يستطع أن
(يتجرد) من (الأسطورة) تأثراً بالديانة الشعبية الإغريقية .
وإن كان يقرر في وضوح ما لاعتقده . ومسبق أن طرحناه متردداً: أن أرسطو
زحفت (الاسطورة) على فكره دون أن يدري وبطريقة (الاشعورية) ..
والذي يعنينا في هذا المضمار : أن نقرر أن(أرسطو) عرف الأسطورة . وسرت
في فلسفته وتفكيره. وأنه لم يكن ذلك العقل المحصن من الاسطورة ..

ثانياً- عندما نطالع تقييم الدكتور محمد البهي للفلسفة الإغريقية وعلاقتها بالأسطورة المتصلة بالدين الإغريقي الوثني . وأثر هذه المؤثرات على فلسفة (أرسطو) بالذات . بل: وانتقال الفلسفة الارسطية المشائية بما فيها من جذور أسطورية بدائية . إلى: الفلسفة المشائية الاسلامية .

فبعد أن يعرض صاحب (الجانب الإلهي) لبعض المصطلحات الفلسفية في نظرية أرسطو عن (عالم الأفلاك). وذلك كمقدمة منه لنقد الفكر الاسلامي الذي قبل الفلسفة الإغريقية بما فيها من جذور أرسطية . دون أن يلتفت إلى هذه الجذور. قدر التفاته إلى محاولة (التوفيق بين الدين والفلسفة) تقديراً منهم لدور (أرسطو) في الفكر الانساني الفلسفي..

فقد عرض الدكتور محمد البهي المصطلحات الآتية الأرسطية :

- ١ - (المحرك الأول) الذي لا يتحرك . وهو العقل الأول في سلسلة عقول الأفلاك.
- ٢ - (عقل الفلك) . وهو القوة المحركة علي الدوام تحريكاً غير مباشر.
- ٣ - (نفس الفلك) . وهي : القوة المتصلة به والمحركة له تحريكاً مباشراً .
- ٤ - (جرم الفلك) . أو (جسمه) : وهو: الجزء المادي الأثيري في الفلك . وهو يتحرك بحركة محركه القريب الذي هو (النفس) .

ثم يقول : [وهذه الاصطلاحات الأربعة تشير الي موجودات يمكن أن تدخل تحت أنواع ثلاثة في عالم السماء :

١ - النوع العقلي: وهو نوع القوة المدبره المفارقة . بما فيها المحرك الأول. لأنه: عقل. أيضاً ..

٢ - النوع النفسي: وهو نوع القوى المدبرة المتصلة بالأجسام الفلكية .

٣ - النوع الجسدي: وهو النوع القابل للتدبير والتحرك.

وهذه الأنواع الثلاثة: متفاوتة في منزلة الكمال.. أدخلها فيه : العقل - ثم النفس . ثم الجسم .

ولكن هل وجود هذه الأنواع الثلاثة في (عالم السماء) ضرورة من ضرورات العقل والمنطق ...؟..

وهل: تفاوتها في المنزلة من: ضرورات العقل ...؟..

أم أن أصحاب : التفلسف القديم (الإغريقي) القائلين بها لم يستطيعوا التخلص من الإيمان بتنوعها وتفاوتها . كأثر باقٍ في نفوسهم من آثار عقيدتهم الشعبية الأولى الأسطورية . فكان تفلسفهم لتبرير الإيمان . وتبرير تفاوتها أمام العقل الإنساني العام ...].

ويقطع صاحب (الجانب الإلهي) بعدما ردّد بين أسئلته : بأن (عالم الأفلاك) هو محاولة أسطورية من (أرسطو) أعظم فلاسفة الإغريق لتفسير وتبرير الأسطورة الموجودة في العقيدة الإغريقية الشعبية البدائية . وإن كان هذا (التبرير) عند (أرسطو) قد أخذ شكلاً جديداً يناسب (عقليته الفلسفية) .

فيقول: [إن المحاولة الفلسفية لشرح هذه الأنواع وشرح صلاتها بعضها ببعض تنبئ عن (تبرير لاشعوري) للإيمان بشئ معين في الكون عرفه الإنسان عن طريق ديني دون أن يدركه عن طريق: العقل والمنطق . من نفسه ابتداءً .

وما يذكر من (عدد) عقول الأفلاك . ونفوسها . وأجرامها . ليس أيضاً: وليد المعرفة النظرية الإنسانية البحتة .

بمقدار ما هو: نتيجة لعقيدة دينية في قوى الكون . وإن بدى ذلك في صورة : عقلية إنسانية .] (١)

ويؤكد الدكتور محمد البهي أن [القول بأن للأفلاك نفوساً إنما هو : أثر من آثار العقائد الشعبية الأولى (الوثنية) التي كانت تتصور في كل شئ نفساً وقوة . ويوجد في فلسفة ديمقريط الطبيعية . لأنه يفرض في (الذرة) قوة ذاتية...] (٢)

ثم يعمم شيوع الأسطورة الوثنية في الفلسفة الإغريقية : من أثر العقيدة

(١) راجع ص ٤٨٣ وما بعدها من ك (الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي) .

(٢) راجع هامش ص ٤٢٦ من ك (الجانب الآلهي) .

الإغريقية الشعبية الأسطورية . فيقول:

إن] الفلسفة حتى في العصر الإغريقي لم تتخلص من سيطرة العقيدة - الشعبية- رغم ما كان يدعى هناك من: حرية ومن خضوع في البحث لغير سلطان العقل .

وفي القرون التي بعد هذا العصر ، وبالأخص في القرون الوسطى- زادت سيطرة الدين في التفلسف. إلى حدّ : أن كان وجود الفلسفة . وممارسة التفلسف مرهوناً ببقاء الصنعة العقلية في خدمة العقيدة فحسب [(١)

وقد جاء هذا الرأي منه : تعقياً على نظرية (الفيض) وعلاقتها بنظرية (الوساطة) عند المسلمين ..

ويؤكد صاحب (الجانب الإلهي) فكرته التي تقرر : أثر الأسطورة في الفلسفة الإغريقية

فيذكر وهو ينتقد فلسفة (ابن سينا) المشائية الارسطية : [أن طبيعة التفلسف في عصره - ابن سينا- وهي متصلة بطبيعة تفلسف القدامى في العصر الإغريقي- ومنهم أرسطو- إلى عصر النهضة : كانت توحى حتماً بهذا الربط.

فإنسان المتفلسف منذ(عصر الإغريق)إلى عصر النهضة رغم أنه يدعى وبالأخص : أيام(الهيلينيين). التخلي في تفلسفه وفي عمله العقلي عن مؤثرات الدين .

فإنه: لم يتخلّ فعلاً عنه - الدين الشعبي الاسطوري في العصر الاغريقي- في تفلسفه . ولم يزل(الدين) هو: الموجه الأول له -للإنسان- في عمله العقلي. إما عن طريق مباشر. أوغير مباشر. [(٢)

فالدين إذن : له تأثير على الإنسان المتفلسف .حسب عصره ولما كان(الدين)الأسطوري الوثني في العقيدة الشعبية الإغريقية الأولى هو : المسيطر على الإغريق في عصر أرسطو .. بل قبله وبعده وحتى دخول المسيحية بعدة

(١) راجع هامش ص ٤٤٢ من المرجع السابق.

(٢) راجع ص ٥٠٦ من المرجع السابق .

قرون.. والتي قامت هي الأخرى على (دعائم أسطورية) من الحلول والافلوطنية
المحدثة. والأقانيم وغيرها..^(١)

ومن هنا: وصف بعض مؤرخي الفلسفة .وهم بعيدو النظر تلك الفلسفة عموماً
وحتى (عصر النهضة) بأنها:

[تحاول مزج الدين بالمنطق ..ومزج الطبيعة بما بعدها..]

وهذا التقرير ينطبق تماماً على العصر الاغريقي .. ويظهر قوة هذا المزج
في(عصر أرسطو) . الذي حاول أن يفلسف الأسطورة .على مناهج
مبتكرة..ولكنه أضر فلسفته وعرضها للنقد ورياح الزوال . .

وبذلك نجد من يؤيدنا في مقولة: تأثر الفلسفة الإغريقية وخاصة عند
(أرسطو) بالأسطورة الشعبية البدائية الوثنية .

وأن(أرسطو) حاول جاهداً : أن يجعل (أساطيره) مخفية مستورة فلوثها
بمنطقه وأحاطها بفلسفته..

(١) وقد لازمت الأسطورة الإغريق في هذا العصر.نعمندما استولى(البرابرة) على
(روما)سنة. ٤١ ميلادية استولى على(العالم) ذهول عميق . بسبب اعتقاد الرومانيين. وشاركهم
العالم هذا الاعتقاد (أن روما لاتقهر) وعقب نكسة الهزيمة قال الوثنيون الاغريق [إن الإلهة
غضبوا على المدينه - روما- وتخلوا عن نصرتها لتهاون الرومان في الشعائر السلفية -
يقصدون العقيدة الشعبية البدائية الوثنية الاسطورية - وسبب انتشار المسيحية في أرجاء
الأمبراطورية الرومانية ..] وقد ردّ على الرومان القديس(أوغسطين) في كتاب(مدينة الله)
وفرغ من تأليف سنة ٤٢٦ ميلادية ولكنه أسس الرد على (الأفلاطونية) والأسطورية .فكان
متهاقناً.راجع التفصيل ص٢٧من ك(تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط)
د/يوسف كرم . نشر دار المعارف سنة ١٩٦٥.

ثالثاً:- إن سيطرة (أرسطو) على: الفكر الإنساني أمر مذهل لم تستطع البشرية منه فكاكاً .. وقد (رمى) أرسطو بمنهجه العقلي بصورة قوية أصابت كبد الفلسفة. لدرجة أن] الفلسفة لم تكن لتتحلل من المصطلحات الفلسفية التي وضعها أرسطو..] (١)

وهذه النتيجة كان لها بعض الآثار (السلبية) على حركة الفكر الانساني على مرّ التاريخ .

فإذا كنا قد علمنا مثلاً: أن أرسطو اعتبر (الأسطورة والخرافة) من مكونات (الشعر) كفن علميّ منهجيّ يمتد إلى وجدان الانسان

وأن مذهب أرسطو في الشعر.. سرى منه إلى عصور التاريخ وحتى العصر الحديث . حتى رثي الشعر] وقد خضعت قواعده لتلك القواعد التي وضعها أرسطو. وخاصة: عند الفرنسيين ..] (٢)

وإذا كان هذا هو تأثير (أرسطو) على التفكير الانساني.. فإن (تأثر) أرسطو بمن سبقه من المفكرين .. وتأثره بالبيئة الإغريقية في الجانب الاسطوري من (المسلّمات) عند الكثير من الباحثين الذين تفردوا لدراسة ألسفة الاغريقية .. يقول (بيجر) WERNER JAEGER في كتابه (أرسطو) الذي عقده لدراسة جانب (ما بعد الطبيعة عند أرسطو رداً على دعوى تقول: [إن أرسطو رفض من أفلاطون الجانب الشعري جانب الأساطير والتصويرات الشعرية ..] .

فيؤكد (بيجر) بطلان هذه الدعوى بقوله: [ولكن الواقع هو: أن مؤلفات أرسطو الأولى من ناحية .. ووضعه: لنظرية الشعر من ناحية أخرى .. يكذبان . كل ما يقال عن أرسطو من أنه لم يكن يحفل بالنواحي الشكلية .] (٣)

والذي يدعو للدهشة أننا نجد (أرسطو) صاحب المنطق العقلي والفلسفة الواقعية.. يتخذ من بعض الجوانب (الخفية) أساساً لآراء فلسفية .. فهو يوسع جانباً هاماً لأحد (الأحلام) .

(١) راجع ص ٦ من ك (أرسطو) للدكتور عبد الرحمن بدوي.

ونحن هنا لاتدين « الأحلام » بأنها جوانب أسطورية..بل إن منها ماهو
(أضغاث أحلام) وماهو(رؤيا) قد تحقق . والرؤيا الصادقة [جزء من أريغين جزء
من النبوة ..] .

ولكنني هنا فقط : ألقت النظر إلى مثل(أرسطو) في هذا المضمار عندما يتأثر
بالأحلام ..وتظل ظلالها معه فترة طويلة زمنية ..ممايحدث عادة بين عامة
الناس. أو الفلاسفة ..

أما أن يتحدث (أرسطو) عن (حلم) صديقه الذي أثر فيه بقوة واتخذه أساساً
لاحدى (محاوراته) .. فهذا هو الطريف من (أرسطو) .

إذ يشير إلى مدى : استعداده الروحي لتقبل الصور من عالم (غامض).. رغم
أنه وفلسفته . كانا يؤكدان: أن العقل والمنطق والبحث والنظر .. هو: قوام المنهج
الأرسطي..

ويعرض أحد الباحثين هذا فيقول: [وكان - أوديموس- قد رأى حلماً عندما
كان منفيًا من وطنه . وفي هذه (الرؤيا) : خيل إليه .
أولاً : أن الطاغية الذي نفاء من وطنه سيموت بعد مدة .
وثانياً : أنه بعدخمس سنوات سيرجع إلى وطنه ..

وقد تحققت : النبوة الأولى. وبقي أن تتحقق الثانية . وقد تحققت
بصورة(معاكسة) . فقد لقي(أذيموس) حتفه بعدخمس سنوات بالدقة ..

فاتخذ (أرسطو) من هذا (الحلم) موضوعاً لهذه (المحاورة) التي سماها باسم
بطلها(أذيموس) ، وحاول أن يجعلها على: غرار محاورة (فيدون) .. إذ نجد
مشابهة كبيرة جداً بين مايرد فيها . ومايرد في محاورة (فيدون) .
فنجده : يحاول أن يشبث (خلود النفس) عن طريق (التذكر)^(١) .. وفي هذا كله :
نرى(أرسطو) قد تأثر كل التأثر بأفلاطون..^(٢)

(١) التذكر فكره قامت على عقيدته (التناسخ) الأسطورية. وهي فكره(أسطورية) في الجانب
المعرفي .

(٢) راجع ص٢٤ من ك(أرسطو) دكتور عبد الرحمن بدوي .

والذي استوقفني هنا هو: إبراز مدى التشابه بين أرسطو وأفلاطون في الجانب الروحي المفعم بالجوانب الاسطورية ..

وإن محاورة (فيدون) الأفلاطونية .. محاورة أسطورية وقلدها: أرسطو في محاورة (أذيموس) .

رابعاً- وضحنا الجانب الأسطوري في نظرية المثل عند أفلاطون وأن (الصور) المثالية . كائنات (أسطورية) في الفلسفة الأفلاطونية ..

وهنا نشير الى أن (أرسطو) قد قال بالصورة الأفلاطونية المثالية الأسطورية .. وهذا يجعله (أسطوري) القول بالصورة .

وعرض الدكتور عبد الرحمن بدوي تحليله بعد عرضه لمنهج أرسطو في العلاقة بين (الهيولى والصورة) . فيقول: [أرسطو يقول أيضاً- يقصد مثل أفلاطون - : بالصور. وهو- أرسطو- : يقيم أساس مذهبه في الصور علي المعرفة والوجود . كما فعل أفلاطون تماماً .]

خامساً- يفرد [أرسطو] في فلسفته مكاناً لفكرة تتنافي تماماً مع منهجه الفلسفي ويكاد ينكر فيها قانون (العلية) . وهي فكره (الاتفاق) أو (الصدفة) ..

يعول أرسطو كثيراً على فكرة (الصدفة) باعتبارها شيئاً واقعياً ملموساً . وأنها (قانون) اللاقانون عنده ..

يؤكد أرسطو: أنه في «أحيان» يكون من شأن وجود الهيولى حدوث أشياء (عرضية) غير مقصودة من: العلة الغائية ومن العلة الفاعلية . فتكون: أحداثاً عرضية . أو بالاتفاق .

وأرسطو يستخدم فكرة (الاتفاق) لتفسير كثير من الظواهر الشاذة أو الناقصة في الأشياء .

وقد كرّس أرسطو لفكرة (الاتفاق) مساحة واسعة من عرض فكرته الجديدة والتي يشير إلى أن أحداً لم يسبقه لعرضها ..

ونعجب من رفضه للقاعدة التي تقول: إن الطبيعة كلها تسودها (العلية) .

فلامجال للتحدث عن الاتفاق إذن .

ويرد أرسطو على هذه القاعدة العقلية العلمية على: أساس فكرة(الندرة)
فالنادر والشاذ ولاسبيل إلي: الشك في وجوده . كما يقول أرسطو- هو: الصادر
عن الاتفاق. وأن الاتفاق والندرة أوالشذوذ شئ واحد ..

وندهش عندما نجد أرسطو يتحدث عن (البخت) أو الحظ. ولايقصد به: الحظ
بمعنى (النصيب) المأخوذ بحق(ما) .. (١)

ولكنه يقصد به الدعوى الذي تقدم على مفهوم (خفي) أسطوري لايمكن أن
نجد له تعليلاً منطقياً ..

وهذا الاتجاه في (فكر) أرسطو. يصادم قانون (العلية) وهو من أرسطو بالذات
(مثير) للدهشة ..

ومما لاشك فيه : أن البديل لمصادمة (العلية) هو: الاعتقاد في : الأسطورة
والخرافة .. (٢)

لأننا نحن المسلمين عندما نعتقد(توقف) العلة في نطاق (المعجزة) .. فإن
المقصود [توقف العلة المعهودة .. وحلول(علة) .. أخرى هي : قدرة الله تعالى :
فهي (علة) الفعل الخارق فالمعجزة عند المسلمين .. لاتعني على الإطلاق: بالعله
معلولاً بلاعلة وإن تعنى توقف العلة (الجزئية) أمام(علة) كلية أكبر وأقوي
هي(القدرة الإلهية) ..

ومن هنا : فإننا نحن المسلمين لانعرف . إنكاراً للعلة بالأطلاق تحت أي مقولة
أو (عنوان) .. (٣)

-
- (١) قال الله تعالى(للذكر مثل حظ الأنثيين) .
(٢)وقد لمحنا ذلك عند (ديفيد هيوم) عندما أحل المصادمة مكان(العلة) فانزلق للتناقض. راجع
ص ٦٥ من ك (ديفيد هيوم) د/زكي نجيب محمود .
(٣) وحتى عندما خفف الغزالي من (حتمية) (العلة) فإنه كان يحاول أن يحرر العقل من
قهر(السببية)التي قد تبعده عن الإيمان بالسبب البعيد وهو(قدرة الله تعالى)

الاتفاق والبخت عند أرسطو:

عندما يتحدث(أرسطو) عن (الاتفاق) يأخذ في تقسيمه إلى قسمين:

أ- الاتفاق. ويكون بالنسبة إلى الأشياء غير الإنسانية .

ب - البخت. ويكون خاصاً بالأفعال الإنسانية .

وإذا كان أرسطو قام بعمل هذا التقسيم .. فإنه أحياناً يخرج عليه: فيسوي بين: الاتفاق والبخت باعتبارهما شيئاً واحداً.

ولكن أرسطو على ما يبدو : يعطى (البخت) أهمية عظمى . فإنه عندما يريد أن يعرف (الاتفاق) . يطلع علينا بتعريف (البخت) فيقول في تعريفه: [إنه الحدوث بالعرض لوقائع قابلة لأن تكون غايات . لو كانت هذه الغايات صادرة عن الفكر والاختيار]

ويعتبر أرسطو ما يسمى(بالعرض) في نسيج فلسفته . وهو فكرة (هلامية) أشبه بها بالأسطورة في مقام(التعقل) ..

ويضرب «مثالاً» ليشرح فكرته الأسطورية الغامضة . وليوضح فيه الفرق بين(العلة والعرض) فيقول:

[لو تواعد (الدائن)و(المدين) على أن يلتقيا في السوق لكان التقاؤهما هناك بالعلة لا بالعرض ..

أما في حالة التقاؤهما - دون مواعدة - فإن هذا الالتقاء يكون بالعرض لا بالعلة .

لأن: الذهاب الى السوق والمدين . إلتقيا معاً بدون أن يرتبا هذا الالتقاء.

وحيث: لا ترتيب. فلا فكر- ولا اختيار.

وإذن : فالأحداث التي تحدث بالاتفاق هي تلك التي تأتي بالعرض .^(١)

ونجد من يعتب على فكرة (التناقض) الواردة على (أرسطو) عند مناقشة

(١) راجع ص ١٣٧ من ك (أرسطو).

الجوهر المركب من (الهيولى والصورة) . وأن مشكله (الفردانية) تؤكد التناقض في المناقشة .. فيقول: [الواقع أن هذا الشيء الذي سماه أرسطو بالقوة والفعل . هو: مصادرة لأساس لها على الاطلاق . وهو أشد من الأساطير الأفلاطونية إيفالاً في اللامعقولية .

وإن كان أرسطو قد قصد عن طريق هذه الناحية الأسطورية التي أقحهما في فلسفته . ونعنى بها (القوة والفعل) أن يحل مشكله (الحمل) . أي : إمكان وجود عدة صفات في شئ واحد ثم مشكله (التغير) . أي : الانتقال من حال وجود إلى حالة لاوجود بالنسبة إلى شئ موجود..^(١)

أرسطو يقتبس الأساطير من (الإلياذة) :

عندما برهن أرسطو على: أن (الله) فعل محض. وهو (تعقل) وهذا التعقل هو (حياته). وأن التعقل الصرف خال من الامتداد فالله : بلا امتداد .

عقب الدكتور عبد الرحمن بدوي على ذلك موضعاً عقيدة (أرسطو) في (الإله) فيقول: [وهكذا وضع أرسطو لأول مرة في تاريخ الفكر برهنة عقلية مستخرجة من منطق مذهب فلسفي على: الألوهية

ويجب أن لاتفهم (الألوهية) هنا بمعنى (الواحدية)^(٢) فإن (أرسطو) في الواقع قد (تأرجح) بين الواحدية وبين الشرك.. نظراً لتأثره في هذا الطور- بالدين الشعبي- الأسطوري - ..وانتهى به آخر الأمر في (الطورالثالث) إلى: الشرك..] .

وبصراحة ينسبه (المعقب) إلى أساطير الإلياذة . وأنه يقتبس منها الأساطير . فيقول : (والموضع الذي يتحدث فيه بكل صراحة عن الله باعتباره واحداً هو نهاية «مقالة اللام» حين قال: « إن حكم الكثيرين ليس بصالح . فليكن ثمة زعيم واحد ..] ويردف قائلاً : [وهو قول اقتبسه أرسطو من الإلياذة]^(٣)

٩١) راجع التفصيل ص ١٤٢ وما بعدها من ك (أرسطو)

(٢) سبق أن وضعنا ذلك بالتفصيل ..

(٣) راجع ص ١٧٤ من ك (أرسطو) .

ولاشك أن أرسطو بذلك يضاھي (ھوميروس) عندما جعل (زيوس) زعيماً للآلہة أو (كبير الآلہة) ..

وهنا (أرسطو) لم يطلب (آلہا) واحداً. بدلاً من: الكثيرين الذي فسد حكمهم..
وهنا تكون (الواحدية) صادقة ومنطقية .

ولكن (أرسطو) طالب برئيس على هؤلاء الكثيرين يوحد كلمتهم وأسماء (زعيماً) . وأسماء غيره (رب الأرباب) ..

وهذا كله خوض أسطوري في الجانب الإلہي من (أرسطو) وقد وصفه به غيرنا من الباحثين الذين يكون الإعجاب الشديد للإغريق وفلاسفتهم..

وبعد : هل مازلنا . بحاجة الى المزيد من (النصوص) التي تدل على تأثير (أرسطو) بالأسطورة الاغريقية. ؟..

المنهج الأسطوري عند أرسطو:

إذا أردنا ان نقف على (منهجية الأسطورة) في الفكر الارسطي فإنه يمكننا أن نحدده في العبارات الآتية:

- ١ - الأسطورة عند أرسطو ركيزة من ركائز الشعر .
- ٢ - الأسطورة الارسطية لها قواعد المنهجية .
- ٣- الأسطورة عند أرسطو . تؤدي وظائف فكرية هامة . منها :
 - أ- طريق إلى شرح الفكر بالرمز .
 - ب - يلجأ إليها النقاد والفلاسفة لشرح مناهجهم .
 - ج - الأسطورة عنصر من عناصر (الفن) ..
 - د- لا بد أن تساق الأسطورة في ثوب (غير أسطوري)..حتى تؤدي كامل الوظيفة
 - و - الأسطورة يجب ان تستتر عن أسطورتها لتتلقى على أنها (صدق الحقيقة) ..

ز - الأسطورة تدخل للروح والوجدان عند أرسطو تداخل المنطق والعقل..
ح - جميع الفلسفات الروحية نجدها مشربة بالأساطير عند أرسطو. دون أن يعترف بذلك .

هذه أمور تبدت لي من(عرض) الأسطورة في الفلسفة الأرسطية وقد سرت هذه(الملاحظات) واضحة في طيات هذا العرض.

وكل هذا يؤكد لنا: أن أرسطو سقط في(بحر) الأسطورة. رغم براعته العقلية والفلسفية. إلا أنه حقيقة كان يرتدي الكثير من (الأردية) التي تستر أساطيره.. فستر الأسطورة عند أرسطو : منهج فلسفي ..

الفصل الخامس

محاولة تفسير وجود الأسطورة،

نود أن نشير هنا الى بعض الآراء التي شعرت بنوع من « الخجل » إثر وجود الأسطورة في الفلسفة الاغريقية التي (تفاخر) بها الدنيا..
فحاولت بهتني الطرق (تلمس) أمور تصورتها (مبرراً) لقبول الاغريق للأساطير..

وكان منشط التعبير هذا هو: محاولة للدفاع عن العقل الإغريقي بصدور من العقل التي تعجب به ..

ونحن هنا نقرر بوضوح: أن مذهبنا في سيطرة (الأسطورة) والخرافة. على عقل (ما)..سواء أكان هذا العقل عقل (أمة) أو عقل (شخص). أن (الأسطورة) لا تستطيع أن تسيطر إلا إذا (تباعدت) الأمة وبعُد الشخص عن (وحي الله) تعالى فعندئذ: ينقطع السبيل بالانسان.. فلا يسعفه عقله. ولا تنجده روحه. فتتخطفه الأساطير . أوتتهوى به الخرافات في مكان سحيق ..

وعليه : فإن السلامة من الأساطير تكمن في التمسك بما جاء في (وحي الله تعالى) .. وأصدقته وأحفظه وأوثقه واكمله هو الوحي الذي أنزل على محمد صلي الله عليه وسلم ..

ففيه (جواب) لكل ما يشغل الإنسان عن (عالم الغيب) وفيه (معارف) يقينية عن (الملا الأعلى) ..

فهو (جبل الله) المتين. الذي إذا اعتصم به الإنسان نجى من مهاوي الأسطورة والخرافة. يقول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً .).

وهذا يوضح سلفاً موقفنا من الآراء التي سنذكرها الآن. فعرضنا لها عرض انتفاء . لاعرض إنتقاء ..^(١)

(١) يؤكد «لويس سبنس» أن [الأسطورة ليست تفسيراً قلميه الفائدة العلمية بقدر ما هي استجابة لنزعات دينية وارتباطات اجتماعية] راجع ص ١٥٨ من كتابه (مدخل لدراسة الأسطورة) نشر لندن سنة ١٩٣١ .

١- يطالعنا تحليل سبق الإشارة إليه. وهو: أن الأساطير واخرافات بعوالمها الغريبة وأشخاصها الفذة منفصلة تماماً عن عالمنا (الزمني) .

وإن كانت تؤثر في حياتنا العامة وسلوكنا النفسى

وأصحاب هذا الاتجاه يصفون الأساطير بأنها: [قصص خيالى صرف. وتبعد عن التاريخ بمقدار مايبعد الوهم عن الحقيقة . ومن ثم فإن منطقتها هو: اللامنطق.]^(١)

٢- ولكن هذا الاتجاه . يرفضه «لويس هورتيك» بدعوى: أن الأسطورة لا تمت إلى عالمنا بصلة..

ويرتضى « هورتيك»: أن الأسطورة تعبر عن: الفترة الدينية وعلم الحيوان.. وأن بعض آلهة الوثنيين المعترف بوجودهم منها.. وتلك هي الأسطورة^(٢)

٣ - ويقرر (فريرز)في كتابه(الغصن الذهبى) أن عصر الأسطورة هو (عصر السحر) . وهو(شبيه) بعصر العلم. فإن عصر العلم يرجع إلى: عصر السحر الذي يؤمن بفكرة البحث عن (علة) وهذا طبيعة العلم الطبيعي .

ومعنى هذا أن : الأسطورة أساسها (كوني). طبيعي. طالما هي تتسع لحكايات الالهة والأبطال.

وإذا سلمنا بوجود العناصر الوحشية والأعقلية فيها إثر صراع أبطال الأسطورة علي نحو دمويّ غريب شاذ .

فإننا : نجد الأسطورة تعبر عن جذور: تاريخيه وجغرافية .

ونرى في أسطورة(فرجيل). وهي أساطير لاتينية اتخذت شكل(الملحمة) أنها: جولة بين أطلال. يعقبها تبرير لأسباب وجودها ..فإن(إينياس) البطل الطروادي يؤدي طقوس الخضوع لهرقل المنتصر .

وقد قصد(فرجيل) من هذه الأسطورة الكشف عن: روما القديمة في صورة أسطورية . فيتحدث عن(الكابيتول) وأنات(جوتر) . وكلها آلهة أسطورية واحدة.

(١) راجع ص١١٧ من ك(الأساطير) . للدكتور أحمد كمال زكي .

(٢) راجع ص ٥٤ من ك(الفن والأدب) تأليف /لويس هورنيك ترجمة د/ بدر الدين قاسم الرفاعي دمشق سنة ١٩٦٥.

٤ - رغم أن (الأسطورة) نتاج جماعي.. وإفراز إنساني (أنثروبولوجي) فإن علماء التحليل النفسي. وهو ميدان يعتمد على (الذات) قد استخدموا إشارات (الأساطير) في تفسير (رموز الأحلام) مع أن (الأسطورة) تصدر عن (الجماعة) لا (الفرد) فهي تعبير عنها لاعتنه ...

ورغم أننا لنا موقف من فكرة (التحليل النفسي) ^(١). فإننا هنا ننقل ما يقرره عن كيفية الاتصال بالأسطورة في مجالاتهم ..٢.

يقرر أتباع نظرية (جيمس فرويد) أن الذي يستقر في (اللاوعي) يرفض الاختفاء كما تريد له (الذات) أو (الأنا) وما يعجز منه أن يظهر في الأحلام صريحاً أو غامضاً . يظل يعمل على (خفق) الأفكار والعواطف التي تمثل الغرائز في (اللاوعي) بفعل (ميكانيكية) الكبت. ..

وعندئذ يلجأ العقل إلى: التعبير عنها بالإسقاط . أو الاستبدال أو الانعكاس.. فإن عجز عن هذا التعبير: لجأ إلى (الرمز) الذي من طبيعته أن تستخفي فيه الفكرة أو تتشكل حسب محتويات الشعور ^(٢)

ويقول (كارل يونج) في كتابه (عقدة أوديب والأسطورة وعلم النفس) :
[إن معظم الرموز تتخذ صوراً بدائية . أو مواضيع أسطورية مستقرة في اللاوعي الجماعي.. ومتصلة بالتماذج العليا .
إن الصورة البدائية هي (النموذج الأصلي) .. فهو رواسب الكبت المبهمة . وقد نتعرف على بعض هذه الرواسب في الأحلام ..

وهكذا يلمح العلاقة بين (الرؤي) و(الأساطير) .. وتكون بطبيعته الحال: مرتبطة بأساطير لا تتناول السلالات البشرية بالصراحة المطلوبة . وإنما تجعل شخصها : آلهة جائرة جشعة وأبطالها مرده . وأجراماً سماوية غريبة..]

وقضى مدرسة (التحليل النفسي) الأسطورية. في ربط منهجها بالأسطورة معتمدة على فكرتها المشهورة في تحليل الأسطورة.. وتفسيرها في حياة الانسان. ^(٣)

٥- وحاولت المدرسة (الفنية) أن تقدم تفسيراً للأسطورة يساعد الفن على :

(١) يراجع مقدمة كتابنا (في علم النفس).

(٢) راجع التفصيل ص ١٢ وما بعدها من ك (الأسطورة والرمز) وليام بليك ترجمة/جبرا إبراهيم جبرا نشر بغداد سنة ١٩٧٣

(٣) راجع ص ١٩٨ م. ك (عقدة أوديب في الأسطورة وعلم النفس) .

الاندماج بالأسطورة . ويشجعها على محاولتها . ماقروه علماء (الأنثروبولوجيا) من أن: الفن العظيم لا يخرج عن أن يكون مجرد آلة في خدمة التنظيم الديني البدائي الأسطوري. سواء في الغرب أو الشرق. (١)

وإذا رأينا التماثيل الإغريقية . أمكننا إيجاد العلاقة بين: الفن والأسطورة فأسفل تمثال الإلهة (أثينا) الأسطورية قد كتب قولها : [أنا كل ماكان ويكون وسيكون.. وما من بشر فان . رفع عني ردائي بعد.. وغداً : نكر راجعين إلى : حيث يختلط الإنسان بالآلهة ويعرته.. وقد خلع (الآخارس) (٢) عن أثينا ثيابها فعلاً.] (٣)

وهكذا كان ارتباط الفن بالدين الإغريقي وثيقاً فكان تعبيراً عن إبراز الأساطير التي (تحكي) للإغريقي عبر الأجيال .

وعلى من يريد أن يتقصى (الفن) الإغريقي: أن يستقصي (أساطير الدين) وسيجد أن (الدين) قد امتزج بالأسطورة وعبرَ عنهما (الفن) حتى انصهر ذلك كله في فكرة واحدة .. (٤)

بل إن الكثير من (القصص) كان تآلفاً بين: الأساطير والعقائد والفنون . وكأنها : تربط الشعوب الغابرة بحياة روحية واحدة .

ونجد من يؤكد هذا بعد عرضه فيقول: [إن الكثير من قصصهم كان متصلاً بالأساطير الإلهية . وكان يؤدي علي شكل (حوار) يصاحبه: الغناء والموسيقى.] (٥)

(١) راجع ص ١٨٨ من ك (آفاق الفن) تأليف : ألكسندر إليوت . ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا . نشر دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٤ ت . القاهرة .

(٢) صانع التمثال

(٣) راجع ص ١٣٨ من كتاب (الأساطير) .

(٤) راجع ص ٨٦ من ك (الفن والادب) تأليف / لويس هورنيك ترجم د / بدر الدين قاسم الرقاعي دمشق سنة ١٩٦٥ .

(٥) راجع ص ١٥ وما بعدها بتصريف من ك (دراسات في أدبنا الحديث) دكتور لويس عوض نشر دار المعرفة سنة ١٩٦١ القاهرة .

٦- ونجد من يرجع أسباب نشأة الأسطورة خاصة (أساطير المآسي اليونانية) إلى: أسباب اقتصادية وسياسية ودينية..

ولكنه يؤكد أن: العوامل (الدينية) هي الأصل في هذه العوامل فيقول: [..فالعوامل الدينية تعتبر النواة الأولى التي نبتت منها المأساة الأسطورية فالدين اليوناني كان يتضمن مجموعة من العقائد - الشعبية- والتقاليد التي يؤمن بها الناس ولايحاولون معرفة أصولها .

فمثلاً: عادة (دفن الموتى) كانت منتشرة عند اليونان . لأن مصير الإنسان المحتوم هو: الموت . ولاتنتهي مراسيم الموت الا بمواراة الجثة تحت الثرى . وكانوا يعتقدون أنه إذا لم يدفن الميت تعذبت روحه . وهامت هذه الروح بتملكها الغضب. فتبعث الخوف في نفوس الأحياء ..

وقد حاكمت هذه (الأسطورة) : القواد الثمانية الذين أشرکوا في معركة (أرجينوساي) لأنهم: لم ينتشلوا جثث جنودهم الشهداء من قاع البحر ليؤدوا مراسم الدفن .

ويقول هيرودت : إن (هوميروس وهزبور) قد علما اليونان: أنساب الآلهة : الإغريقية والأسماء والصفات .

إن فضل الإلياذة والأوديسا على الفكر الإغريقي لاينكره أحد فلقد صور(هوميروس) الآلهة: تصويراً بارعاً (١) كما تخيلهم اليونان .. ولكنه - بالطبع- لم يبتدع هؤلاء الآلهة كما يدعي هيرودوت - في تفسيره لنشأة الأسطورة الإلهية عند الإغريق - [١١]

وكان الشعراء مغرمين بتفسير الأساطير تفسيرات متباينة . ولديهم : الميل إلى تعديل بعض تفاصيل الأسطورة وإضافة أجزاء أسطورية الى صلب الأسطورة الإغريقية الموروثة .

وقد وصلتنا أسطورة (أورستيس) الذي قتل (أمه) . معروضة بأسلوب ثلاثة من الشعراء الإغريق ..

(١) راجع التفصيل ص٣١ ومابعدها من ك(المأساة اليونانية) في القرن الخامس ق. م

فعند تناولهم لهذه الأسطورة : اختلف (تفسيرهم) تبعاً للخدعة التي لجأ إليها
(قاتل أمه) .

أ- فالشاعر الإغريقي (إيسخولوس) يصف جريمة (أورستيس). بأنها بشعة .
وإن كان لابد أن يقدم عليها .

ب- والشاعر الإغريقي (يوربيديس) أشار إلى أنه قام بعمل مفرع فيصور قتله
لأمه . على: أنه جرم لا يغتفر ما كان ينبغي أن يقدم عليه .

ج - أما (سوفوكليس) أشهر شعراء الإغريق . فيرى : أن الإبن قد قام بعمل
رائع (١) ..

وتنسب الأسطورة الي (إيسخولوس) أن (الإله ديونوسوس) تجلّى له في
طفولته . وأمره أن ينظم المأساة .

ولذلك: عظمه الإغريق واعتبروه (موهبة سماوية) وهبت لهم من تلك: القوة
الخارقة التي كان يؤمن بها اليونان عامة .

وللأسف يعقب أحد الباحثين المعاصرين على أسطورة (التجلى) فيقول: (وسواء
أكانت هذه الرواية حقيقية . أم من نسج الخيال . فمما لاشك فيه أن اليونان قد
أنزلوا (إيسخولوس) منزلة سامية . [. (١) .

ولاشك أن مصدر الأسف هو: وجود (الترديد) في مقام القطع .. إذ كان ينبغي
عليه . أن يبادر بالقطع بأن هذا من نسج الخيال أي أنه (أسطورة) مختلفة
وأضيفت إلى أساطير الإغريق مثل غيرها من الأساطير الأخرى .

بل: لست أدري .. لماذا لم يشعر بما شعرنا به هنا . من أن سوق هذه الأسطورة
بالذات (التجلي) تؤكد : استعداد الإغريق للأسطورة .. لا لأنها تمثل التراث
الديني الإغريقي .. فقط .

ولكن: لقدرتهم على (اختراع) أساطير شخصية باعتبار أن الأسطورة (تاج)
للآلهة يشرف البشر بكونهم (موضوعات) للأساطير .

(١) راجع ص ٣٠٤ من ك (المأساة اليونانية) .

٧- وحول تفسير نشأة الأسطورة يحدثنا الناقد الإغريقي الأيوني (كسينوفانيس) ٤٧٩:٥٧ ق.م أن الأسطورة نشأت من خيال الإنسان وضلاله ..

فالأساطير التي تتحدث عن الآله في (ناسوتية) وأخلاق بشرية . كما يرددها الإغريق هي دليل على فساد العقل والقلب.

فإن (الإله) واحد. عظيم بين (الآلهة) (١) والبشر وهو: ذو هيئة وتفكير خاص به ..

وقد قضى (كسينوفانيس) حياته (منفياً) في صقلية و(إيليا) بسبب هذه الأفكار. (١)

٨ - أما صاحب نظرية (المجاز الأسطوري) وهو: ثياجينيس THEAHENEW والتي يرى النقاد أنها من أهم النظريات التي نشأت حول تفسير نشأة الأسطورة . فقد رأى: ضرورة معالجة الأسطورة كقصة مجازية لا كرواية أدبية .

ولذلك حاول: إثبات أن بعض الآلهة الإغريقية الواردة في الأساطير . تمثل : قيماً أخلاقية أو عقلانية ..

وذلك عن طريق: دراسة لغوية لأسماء تلك الآلهة كما وردت في الأساطير ..

ولكن (فريكوديس) (٢) PHEREKYDES هو الذي : خلط بين الأسطورة والقصة المجازية والعلم الطبيعي ..

وقد زاد عن (ثياجينيس) ، ربطه المجاز بالعلم الطبيعي. وهو خطوة جريئة في عصره .. وقد تبلورت بطريقة منهجية فيما بعد عند (أرسطو) . (٣)

٩ - ونجد من مفسري نشأة الأسطورة من يذكر أن الأسطورة ليست إلا تاريخاً متنعاً . فالآلهة في بادئ الأمر كانت: رجالاً .

وبعد مرور الزمن. وبعد فترات التماهي في الخيال اكتسب هؤلاء الرجال : عظمة

(١) راجع التفصيل ج ٤١ من ك (أساطير إغريقية) .

(٢) القرن السادس قبل الميلاد .

(٣) راجع ص ٤٢ من ك (أساطير إغريقية) .

وجلالاً وتغيرت أشكالهم حتى تحولوا إلى أرواح مقدسة أسطورية . [(١)

وصاحب هذا الرأي هو (يوهيميروس) . EUHEMEROS . (٢)

وقد صارت هذه النظرية ذات شهرة بفضل الكاتب الروماني (إينوس) .
ENNIUS (٢٣٩:١٦٩ ق.م) الذي روج لهذه النظرية .

وقد راجت فكرة: أن الأساطير نشأت خضوعاً لنظرية (الذرائع) . (٣)

وقد ظهر ذلك بجلاء عند (الفلاسفة الرواقيين والأفلوطينيين) وقد عبر عن هذا (بلوتارخوس) (٤٦-١٢٠م) عندما جهد أن يجعل (الأساطير) تبدو في صورة أكثر وضوحاً وجلاءً . وذلك عن طريق تفسيرها تفسيراً (ذرائعياً) .

ورأى (بلوتارخوس): أن آلهة الأساطير الإغريقية كانت: ملوكاً أو رجالاً عاديين .
وقد حاول بعض الفلاسفة تفسير الأسطورة تفسيراً «نفسياً» فهي عندهم تمثل مرور النفس البشرية في المراحل الأسطورية .

وتعتقد المدرسة الرواقية بصفة عامة: أن الأساطير إشارات إلى (الظواهر الطبيعية) .

ويرى أصحاب الاتجاه الذرائعي: أن (الآلهة أئينا) تمثل الشخصية المعظمة للملكة من ملكات البشر .

بينما يذهب أصحاب الاتجاه (النفسي) إلى أن نفس هذه (الآلهة أئينا) تمثل (الفهم) .

أما أصحاب التفسير الطبيعي . فيذهبون إلى: أن (الإلهة أئينا) تمثل: الطبقة الهوائية السميكة الواقعة بين الأرض والقمر .

(١) راجع ص ٤٣ من المرجع السابق .

(٢) القرن الرابع قبل الميلاد .

(٣) مذهب (الذرائع) PRAJMATISM وهو مذهب فلسفي أمريكي يتخذ النتائج العملية (مقباساً) لتحديد قيمة الفكرة الفلسفية وصدقها ..

ويعتبر هنا المصطلح المعاصر أقرب مصطلح يعبر عن منهج (بلوتارخوس) في تفسير الأساطير .
راجع هامش ص ٤٤ من ك (أساطير إغريقية)

١- وعندما انتشرت (المسيحية) في العصر الروماني وشملت العالم الإغريقي والروماني.. روج آباء الكنيسة المسيحية الأوتل وعلى رأسهم (أغسطين) ٣٥٤: ٤٣م . لفكرة تدعو إلى: ضرورة تفسير الأساطير تفسيراً (مجازياً). وأن للأسطورة وظيفة دينية في نفوس المسيحيين. ولذلك ينبغي تخلص الأسطورة من: الصفات (الكريهة) حتى تروق الأسطورة لدى المتدين .

ووجد من الكنيسة من يرى: أن الأسطورة تحتوى على معنى (أخلاقي) . وأيده من قال : [إن الأسطورة تحتوى على قدر ضئيل من صدق عقائدي.]^(١)

١١- أما في (العصور الوسطى الأوربية) . فإننا نجد من يفسر (الأسطورة) بشكل يتناسب مع ظلام هذه العصور. فإننا لا نجد آراء محدودة أو نظريات .

ولكننا نجد : أن الاعتقاد السائد وقتئذ في العصور الوسطى الأوربية هو: [أن الآلهة أو الربّات الإغريقية تنتمي إلى أصل شيطاني .. أو أنها على الأقل ليست سوى مجموعة من الأوثان. ألقى بها في الجحيم فور ظهور المسيحية] .

١٢- وفي (عصر النهضة) وجدنا محاولات لتفسير نشأة الأسطورة..

أ- فقد حاول (فرنسيس بيكون) FRANCIS BACON (١٥٦١: ١٦٢٦م).

أن يفسر الأسطورة تفسيراً مجازياً فمثلاً : ديونوسوس. هو: المعاناة .. وهكذا .

ب. ونجد (نتاليس كوم). NATALIS COMES (ت ١٥٨٢م). يرى: أن

الأساطير مليئة بالجوانب المجازية لفلسفة طبيعة أخلاقية ..

ج- أما (دي بروس). DE BROSSES (١٧٠٩-١٧٧٧م) فقد فسر الأسطورة

بأنها (بقايا) عادات قديمة بدائية والتي تمارسها الشعوب البدائية وحتى الآن .

ولاشك أن هذه (مغالطة) : فإن الحق يوجب أن يقول : إن مالدي الشعوب

البدائية الآن هي: أساطير قديمة موروثه .

د- ويؤكد (لافيتو) LAFITAU (١٧٢٤م) فيرى : أن عنصر (الشراسة)

الموجود في الأساطير الإغريقية. قد وجدته في الهند عندما كان عضواً في (البعثة

اليسوعية) التبشيرية .

(١) راجع ص ٤٤ من ك (أساطير اغريقية)

وقد مهد الطريق للقديس (بانيه) . و(بريانت) الذي قال: [إن الأساطير إنما استمدت أصولها من الكتاب المقدس(١) أو القصص المتعلقة به..]

هـ - أما (توماس تايلور) فيرى أن الأساطير نشأت نشأة (مجازية) .

و- أما الألماني(كروزر) . فيرى أن الأسطورة نوع من أنواع التعاليم الدينية . وأن الأسطورة نشأت في ظل (وحي) ديني أصيل .

وإننا نحتاج إلى(موهوب) في تحليل(الأساطير) لابرار الجوانب الدينية في هذه الأساطير.. وبدونه سنظل عاجزين عن إدراك الجوانب (الخفية) للحكمة التي تسجل (حكمة الأجيال السحيقة).

ز- ويرى (مولر) K.O.MUIER. أن هناك (فوضى) بين العلماء في تفسير (نشأة الأساطير) .

وأنه يجب أن نفرق بين:

١- الأسطورة الحقيقية ..١.

٢ - الأسطورة التي حرفها الشعراء والفلاسفة

وإن(المادة) الأسطورية يجب (تحليلها) الى عناصرها (الأسطورية) الأصلية..١.

ويصف أحد الباحثين (مولر)بأنه[أول من توصل الى منهج علمي في دراسة الأساطير.]^(١)

ح- ونجد(رائد) مدرسة التفسير الأنثروبولوجي لنشأة الأسطورة (تايلور) . A.B.TAILOUR . يذهب مع مدرسته إلى: أن وجود عنصر الشراسة والتفاهة في الأسطورة يعني: أن هذه الأسطورة قد نشأت بين شعب بدائي شرس تافه .

وعندما نجد(الشراسة) في أسطورة لشعب متحضر كالإغريق فإن ذلك يعني : أن هذا الشعب المتحضر الذي تسري فيه هذه الأسطورة . كان يوماً(ما) شعباً: شرساً تافهاً انتشر فيه معتقد شرس تافه .

(١) راجع ص٤٧ من ك(أساطير إغريقية) .

وقد عوكت هذه (المدرسة) على: تاريخ الإنسان وأصله وعاداته الاجتماعية .
ومعتقداته الدينية .

ويؤيد هذه المدرسة الفيلسوف (هربرت سبنسر) الانجليزي HERBERT SPENCER . (١٨٢:١٩٣م). ويقول: إن أساطير الطبيعة هي نوع من عبادة الأسلاف نشأت نتيجة لما نسميه (سوء الفهم) .. وأن أساطير (الحيوان) تعبر عن (التوتم) وسوء فهمه ..

وإذا كنا قد ألقينا بعض الضوء على (فهرست) الذين حاولوا تفسير نشأة الأسطورة .. فإننا لانستطيع أن نساير هذا الخط الذي نعلم أنه خارج عن منهجنا .

ويكفي أن نشير بعد ذلك : أنه قد ظهر عدد غير من الدارسين الذين اهتموا بهذه الدراسات التي ألفت المزيد من الضوء على (علم الأساطير).

ورغم التعسف في جعل هذه (التفسيرات) للأساطير (علماء) .. فإن هذا (العلم) المخلوق لم يسعفهم في تقديم (تفسير) للأسطورة . يدفعون به (العار) الذي يشعرون به من تغلغل الأسطورة في فلسفة وتفكير وعقيدة الأسلاف . الإغريق .

ويظهر لنا من كل (محاولات تفسير نشأة الأسطورة) أننا لم نجد هذا (الكم) الهائل من الدارسين يقف من الأسطورة . موقف (المبطل) الذي يعترف بخطورها على الانسان والعقائد... وأنه يجب أن تقطع هذه الأساطير من (حياة الشعوب) وتدفن في قاع المحيط السحيق. بحيث لا تدرس أو تروج ولا يشار إليها إلا للمقارنة .. مثلما : فعل العرب والمسلمون باللأت والعزى وغيرهما من أصنام الوثنية .. عندما أضاء الاسلام عقيدتهم وحياتهم ..

ونعتقد بعد ذلك: أنه يجدر بنا أن نجمل في (تجريد) أهم مناهج تفسير نشأة الأسطورة . في الآتى :

الأول: منهج يدعي: أن الأسطورة تصف حقائق تاريخية بطولية .

الثاني: منهج يدعو إلى: اعتبار الأسطورة (حقائق) فلسفية دائمة .

الثالث: منهج يحبذ تناول الأسطورة. كتعبير عن (انعكاس) لعملية طبيعية .
تحدث مرة بعد أخرى وإلى الأبد..

وهذه المبادئ المنهجية تؤدي إلى (مناهج) تطبيقية لدراسة الأسطورة عند:
مفسري نشأة الأسطورة.

المناهج التطبيقية

١ - المنهج المجازي: يرى الأسطورة قد أخفى فيها حقائق ضن بها الأقدمون على
عصرهم ..

٢ - المنهج الرمزي: الذي يرى أن الأسطورة (ترمز) إلى: فلسفة كاملة . وجدت
في عصور سحيقة .

٣- المنهج العقلي: يؤكد أن الأسطورة نشأت بسبب : سوء الفهم أو (خطأ)
الأجيال في الرواية .

٤- المنهج التحويكي: وهو عند الذين يرون الأسطورة قصة فرد بشري . قام بعمل
مجيد بطولي . استحق أن يكون به (إله) من آلهة الأساطير .
وبذلك (يتحول) البشر إلى (آلهة) أسطورية

٥- المنهج الطبيعي: ويرى أن الأسطورة نشأت لتتناول مظهراً في (الطبيعة) .
وتعتبر عن (الظاهرة) بشخصية مقدسة وتطورها إلى (آلة) أو (آلهة) ..

٦- منهج التحليل النفسي. ويذكر أن سبب الأسطورة بواعث كبت غريزي منذ
آماد طويلة ..

وهذه (المناهج التطبيقية) مع (المبادئ المجردة) . كلها عجزت عن أن تجعل من
الأسطورة و(الخرافة) شيئاً يمكن أن يتقبله لعقل.. وهي كلها توصل - علمياً-
إلى طريق الأسطورة المسدود. (١)

ولعلّ هذا الاضطراب في المناهج التي تفسر نشأة الأسطورة إنما يرجع إلى:
محاولة الدفاع عن (الاغريق) الذين اعتقدوا الأسطورة . وسرت في تفكيرهم
وفلسفتهم وعقيدتهم .

(١) راجع ص ٦٢ من ك(أساطير اغريقية) .

وهذا (الدفاع) إنما نشأ بسبب تصور(تميز) شعب الإغريق عن غيره من الشعوب الأخرى .

ومن هنا: يفرع(حفده) الإغريق .. ومن يشايعهم ثقافيا من القول: بأن العقل الإغريقي مثله مثل أي(عقل) بشريّ يتعرض للأسطورة .. عندما يتباعد عن(الوحي الإلهي) الذي يرسله الله ليدل (العقل الانساني) علي: الجانب الإلهي بطريق: الرسل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

والحقيقة: أن كل هذه (المناهج) قد باءت بالفشل في التأدي إلى أهدافها ..

كما فشلت كل(دعوي) تحاول أن تجعل من(العقل الإغريقي) شيئا متفوقا لذاته .

ويمكن أن نقول: باطمئنان :إن(الأسطورة) سرت في الحياة الاغريقية بصورة متصلة منذ بكور الفكر الاغريقي مروراً بشوامخ الفكر الفلسفي الإغريقي وحتى العصور المتأثرة بالفلسفة الاغريقية ..

ويمكن بعد ذلك أن نشير إلى بعض الأمور التي يلجأ اليها(مفسرو الأسطورة) وهي :

- ١- معرفة مصدر الأسطورة . ومحاولة تحديد تاريخها .
- ٢ - تحديد(مكان) نشأة الأسطورة للوقوف علي زمانها .
- ٣ - تحديد(نوع) الأسطورة. .
- ٤- مقارنة الأسطورة بغيرها من الأساطير التي وجدت عند الشعوب الأخرى لمعرفة مدى (الاتصال) بينها وبين غيرها من الأساطير .

وختاماً

وبعد: فإنني أرجو أن اكون قد استطعت خلال هذه الدراسة الموضوعية عن وجود(الأسطورة في الفلسفة الإغريقية) .. أن أكون قد وفيت بمقصودي في إطار منهجي ..

وأسال الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله مفيداً

لكل (منصف) للعقلية الاسلامية ..ومهدداً لكل (متعصب) للعقلية الإغريقية ..
كما ابتهل الى الله تعالى: أن يجعل الحق رائدنا في تناول الأمور. والإنصاف
منهجنا في تقرير الأحكام..

وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده إنه سميع مجيب ..

أربنا عليك توكلنا. وإليك أنبنا وإليك المصير.أ.

هذا .. وبالله التوفيق...

دكتور مصطفى غلوش.

كلية أصول الدين

القاهرة.

ثبت
بأهم المراجع الواردة في البحث

اسم المؤلف	اسم الكتاب	مسلسل
	القرآن الكريم	١
	السنة النبوية المطهرة	٢
	المعجم اللغوية	٣
دكتور عبد الرحمن بدوي .	أرسطو	٤
دكتور أحمد كمال ذكي .	الأساطير	٥
دكتور عبد المعطى شعراوى .	اساطير إغريقية (البشر)	٦
الكسندر اليوت / ترجمة نجبرا إبراهيم جبرا .	آفاق الفن	٧
دكتور عبد الرحمن بدوي .	أفلاطون	٨
دكتور شكرى عياد .	البطل في الأدب والأساطير	٩
دكتور يوسف كرم .	تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط	١٠
دكتور عبد الرحمن بدوي .	التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية	١١
نشر دار الريان للتراث .	تفسير القرطبي	١٢
تحقيق (د / تشاولس ميرووات و د / أحمد عبد المجيد هريدى)	تلخيص كتاب الشعر لابن رشد	١٣
دكتور محمد البهى .	الجانب الالهي فى التفكير الفلسفى	١٤
ترجمة دكتور فؤاد زكريا .	جمهورية أفلاطون	١٥
فريدريك فون لين / ترجمة د / نبيلة إبراهيم .	الحكاية الخرافية	١٦
دكتور عاطف جودة نصر .	الخيال مفوماته ووظائفه	١٧
دكتور لويس عوض .	دراسات فى أدبنا الحديث	١٨
دكتور صلاح عبد العيم .	دراسات فى الفلسفة	١٩
دكتور ذكى نجيب محمود .	ديفيد هيوم	٢٠
دكتور عبد الرحمن بدوي .	ربيع الفكر اليونانى	٢١

اسم المؤلف	اسم الكتاب	مسلسل
دكتور يمينى طريف الخولى العلم والاعتراب والحرية	٢٢
كارل يونج .	عقدة أوديب والأسطورة وعلم النفس	٢٣
دكتور مصطفى غلوش .	عقيدة التناسخ وموقف الإسلام منها .	٢٤
ريكس وورنر/ ترجمة عبد الحميد سليم فلاسفة الاغريق	٢٥
لويس هورتيك - ترجمة د/ بدر الدين قاسم الرفاعى الفن والأدب	٢٦
دكتور عوض الله حجازى فى الفلسفة الإسلامية وصلاتها	٢٧
دكتور أحمد أمين و دكتور ذكى نجيب محمود بالفلسفة اليونانية	٢٨
دكتور محمد صقر خفاجة و دكتور عبد المعطى شعراوى قصة الفلسفة اليونانية	٢٩
دكتور جمال الدين سيد أحمد المأساة اليونانية فى القرن الخامس قبل الميلاد	٣٠
للمهر ستانى مقدونية	٣١
دكتور محمد عبد الرحمن مرجبا الملل والنحل	٣٢
تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية	٣٣
دكتور محمد سامى النشار المنقذ من الضلال للغزالي	٣٤
دكتور محمد صقر خفاجة نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	٣٥
دكتور وهيب كامل هوميروس : شاعر الخلود	٣٦
 هيروdot في مصر	

ثبت باهم الموضوعات الواردة في الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٧	الأسطورة
١٣	العقل العربي والأسطورة
١٤	انواع الأسطورة
١٩	معنى الأسطورة عند المحدثين
٢٠	الأسطورة والفلسفة
٢١	تأثير الأسطورة في الفكر الإغريقي
٢٦	وصف تراث هزبود
٣٣	اثر الأسطورة على الفلسفة الإغريقية
٣٤	طابع الفلسفة في العصر الإغريقي
٤٢	الأسطورة عند الفلاسفة
٤٦	الفيثاغورية والأسطورة
٤٩	الأسطورة والايليون
٥١	الأسطورة وشوامخ الفكر الإغريقي
٥٥	الأسطورة وسقراط
٦٥	الأسطورة وأفلاطون
٦٧	علاقة المحاورات بالأسطورة
٧٠	الأسطورة وفلسفة أفلاطون
٧٦	الأسطورة ومنهج أفلاطون
٨٣	الأسطورة وأرسطو
٨٤	المدرسة المشائية في عصر أرسطو
٩٦	أرسطو وفلسفته الأسطورية
٩٨	العقيدة الإغريقية الأسطورية عند أرسطو

الصفحة

الموضوع

١٠٩	الاتفاق والبخت عند أرسطو
١٠٣	محاولة تفسير وجود الأسطورة
١٢٤	مناهج دراسة الأسطورة
١٢٧	ثبت باهم المراجع الواردة في البحث

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٩. / ٥٧٤٤

الترقيم الدولى

I . S . B . N

977 - 5101 - 03 - 4

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>